

بقلم

دكتور احمد زكي ابو شادي

فهـــــرس

صفحة

الأدب الانسانى والأدب الواقعى

لما نشأت (مدرسة أبوللو) منذ ثلاث وعشرين سنة كانت الفكرة الموحدة الجامعة ان الشعر الحق الرفيع هو ماعبر عن الشعور تعبيرا فنيا أصيلا ، ولم يكن ابتذالا ولا اجترارا لما سبقه ، اذ لا غنى للشعر من وراء التكرار والاجترار . وتحت راية هذا التعريف أمكن انتظام مذاهب شتى ، وفى هذا الافق الفسيح والجو الحر كانت (مدرسة أبولله) من أغنى المدارس الشعرية فى أى عهد ، اذ أنها جندت مواهب ممتازة متباينة وألفتها وخلقت انسجاما ، وأى انسجام ، من التباين الظاهرى . فجمعت بين شعراء موهوبين مبدعين آمنوا بالرمزية والسريالية والرومانسية والواقعية وغيرها وغيرها على درجات شتى ، وان ندر بينهم من اقتصر شعره على مذهب واحد من هذه المذاهب ، وانما العبرة فى أن صفوة ابداعهم كانت موضع الحفاوة والانتفاع بها لخير الادب عامة ، بدل اقتصار النفع على مذهب بعينه . وليس فى هذا شىء من التناقض لان القاسم المشترك الاعظم بين هذه المذاهب هو روح الشعر ذاته - الشعر الاصيل الرفيع - بغض النظر عن صورة التعبير ، وعن الموضوعات التى يتناولها . وقد وصفت (مدرسة أبوللو) بأنها كانت مدرسة جد متسامحة ، وهذا صحيح ، ولكنه تسامح لايعرف التذبذب فى المبدأ الاساسى السالف الذكر .

وبديهى أنه ليس من الحتم أن يدين الاديب أو الشاعر بمذهب واحد فحسب ، فقد تجتمع جملة مذاهب فى شعره وقد تتداخل ، وعلى الاخص اذا كان الشاعر وفير الانتاج ، كما قد يحدث نظير ذلك لبعض الفنانين فى لوحاتهم التصويرية ، وان غلب هذا المذهب أو ذاك عليهم أو هذه الصورة أو تلك من التعبير أو هذا الطراز أو ذاك من التصوير .

والصورة الأم للادب هى أنه التعبير عن الحياة ، ولذلك لايمكن التهارب من الواقعية ، ولا من الانسانية بخيرها وشرها فى الادب الصحيح ، كما لايمكن التجاهل عن المثالية الرفيعة الموجهة للبشرية سواء أكانت فى دين أم فى غير دين .

الأدب الانساني والأدب الواقعي
وليمة منيرفا

ذكرنا في حديث أذيع أخيرا قصيدة « ياسلم ! » (١) مثالا للادب الانساني ، واليوم نذكر قصيدة من الادب الواقعي – الملون في الوقت ذاته بالنزعة الانسانية – عنوانها « هاتي المش » (٢) وهي على لسان فلاح مستعبد في الاقطار المتخلفة يخاطب ابنته ، وقد بلغ منه اليأس كل مبلغ :

غلب الجوع فهاتي « المش » ، هاتي ! — لا تقولي اللحم – ان أصبر – سياتي !
ســادتي أولى به ، مذ نهبــوا — كل حق لي وعاثوا بحيــاتي
لا تقــولي الدود قد أفســده — انما الدود – وان يحقر – لداتي (٣)
حقــه العيش كحقي ، ما له — أي ذنب غــير ذنبي أو أذاة
مدحوني مثلمــا قــد لعنــوا — قد تساوى المدح واللعن لذاتي
ليتهم قد أطعموني أو كســوا — رمتي (٤) قبل ارتقــاب لمماتي
هذه الامراض لم تترك سوى — رمق داسته أقدام الجنــاة
أتراني في غــد مسترجعــا — قوتي أو طارحــا عني أناتي ؟
ليتني حتى تدوي صرختي — ويجــازي كــل مأفون وعــات
أسرعي ! فالوقت قاس صــارم — ان وقت العبد من وقت العتاة !
أسرعي ! لا تحلمي واهمــة — واتركيني في همومي يا فتاتي !
ربمــا تثمر يوما حنظــلا — بل سموما للشياطين الطغــاة
كم نبــات ديس بالاقدام لم — يقبل الدوس حقيرا في النبات
ومضى مستشريا يقضي عــلى — شامخ الاشجار ، فذا في العصاة
هذه حــالي وذي فلســفتي — وكفاحي بين صبر وصــلاة
ان يكن جهلي وفقري حجــة — لاضــطهادي ، فأمر الثأر آت !

وطبيعي أن يزداد الاهتمام في القرن العشرين ، وعلى الاخص في العهد الذري ، بالادب الواقعي وبالادب الانساني عامة ، ولكن ليس معنى ذلك اغفــال ألوان الادب الاخرى لان ثروتنا تتألف من مجموعها ، وما نقول هذا لاننا نجانبهما بل على العكس ، وانما نقوله انصافا لزملائنا جميعا أينما كانوا وكيفما كانت آثارهم القيمة .

---

(١) و (٢) عن ديوان « ايزيس »
(٣) لداتي : أترابي
(٤) رمتي : مابلي من عظامي

وفى حديث سابق لنا عن « النوفزم فى الادب والفن » أشرنا الى حركة التحول فى روسيا احتجاجا على اضطهاد التفكير المستقل وعلى ارغام الأدباء والفنانين على اتبـاع مذهب واحد وتركهم عبيدا لخدمة الدكتاتوريين باسم الدولة . وبطبيعة الحال لم يرق حديثنا أصدقاءنا اليساريين ، فصبوا جام غضبهم علينا وعلى الفنان الرائد هنرى ماتيس الذى نعتوه ازدراء بأنه من خدام الترف ، فى حين أنه كان قدوة رائدة فى خدمة الفن الحر . وفى الواقع حرية البحث وحرية التعبير ، بل والتنافس فى ذلك أمر واجب ، ومجانبته اهدار للكرامة الانسانية . ومن علامات الساعة ، حتى فى روسيا الشيوعيـة ، أن يطالب العالمان الاكاديميان ايفان كنونيانتس Ivan L. Knunyants وزوبكوف Zubkov فى (المجلة الادبية Literaturnaya Gazeta) منذ عهد قريب (وعلى وجه التحديد فى الاسبوع الثانى من يناير سنة ١٩٥٥) بألا تساند الدولة الاحتكار العلمى لمذهب من المذاهب كما جرى فى سنة ١٩٤٨ لمذهب التناسل على الرغم من معارضة علماء كثيرين فى الداخل والخارج حينئذ ، وبأن يعمل على تبادل المعارف عن طريق الترجمةوالاتصال الشخصى والمؤتمرات بين الروسيين وبين الغربيين التقدميين .ولعلنا نجد تحولا بعد ذلك بين أصدقائنا اليساريين فى الشرق الأوسط ، فيخففون من حديثهم عن الادب الواقعى كأنما لاشيء غيره فى الوجود ، ولا شيء عندهم فى الغالب سوى قصة « المحارب العائد » التى سئمنا ابتذالها بأقلام شتى ، وفى الوقت الذى ينتقصون ماينعتونه بأدب الترف كشعر ناجى ورامى وعلى محمود طه نراهم يتعلقون بالقوافى وبالرنين ، ولا يقدرون المزايا الذاتية للشعر المرسل أو للشعر الحر ولو كان غنيا بطاقته الفنية الواضحة .

والاهتمام بالادب الانسانى فى هذا الاوان معناه الاهتمام بالمثالية الرفيعة فى الشعر ، وهذا امر نغتبط له أيما اغتباط بعد ان كان يصرح علانية باباحة الفوضى أو بجعـل الشعر أو الادب عامة فى خدمة الاهواء والمنافع العابرة أو الحكام بأمرهم .

الشعر العربي في المهجر

في أحاديث شتى تناولنا عن كثب ملامح الادب المهجري وخصائصه ، وعلى الاخص الشعر المهجري ، بحيث يصلح مجموعها لان يؤلف كتابا جديدا في نقاطه وفي طريقة عرضه ، ومع ذلك مازلنا نؤثر التريث حبا في استيفاء البحث . وقد ظهرت كتب وبحوث شتى عن أدب المهجر قلما اهتم أصحابها بالاتصال بالادباء المهجريين الاحياء ، وبأصدقاء من انتقلوا الى الدار الاخرى ، رغبة في التمحيص ، كما هو شأن المؤلفين المدرسيين ، وعلى رأسهم من العرب بيننا الاستاذ العلامة الدكتور فيليب حتى ، وهذا عيب شائع في العالم العربي نتيجته النقص والخطل مهما بذل أصحابه من الجهد الذاتي معتمدين على المطالعة وحدها ، وكثيرا ماتقتصر على مراجع قديمة ، ضاربين صفحا عن المجلات والصحف والراديو (١) والمخطوطات ، وبذلك تظهر آثارهم مبتورة متخلفة وان حسبوها غير ذلك . أما نحن شخصيا فلا نعرف هذا الاسلوب من الاعداد والتأليف وانما نلزم أنفسنا بما نطالب غيرنا به . ولا نعرف بين أدبائنا من نهج هذا النهج في العالم الجديد غير الاستاذين عبد المسيح حداد ومحمد كفافي ، وقد كتب الاول عددا من المقالات الاصيلة عن شعراء المهجر ، بينما الثاني يعد كتابا في الموضوع ذاته ليصدره عن مصر بعد عودته اليها مستأنفا عمله الادبي في جامعة القاهرة . واذا كان هذا مايصنعه عبد المسيح حداد وهو عميد الادباء المهجريين في شمالي القارة ، فكيف بمن ليست له صلة بها ؟ لذلك أحسن الاستاذ كفافي – بالرغم من شواغله الكثيرة في جامعة شيكاغو قبلا ثم في جامعة استانفورد بكاليفورنيا حاليا – أحسن بزيارته عددا من الادباء المهجريين الذين يريد الكتابة عنهم أو باتصاله بهم ، وهذا ما لم يصنعه الاستاذ محمد عبد الغني حسن مؤلف كتاب (الشعر العربي في المهجر) الذي نعده خير كتاب في بابه صدر حتى الآن تأليفا وتنسيقا ومادة وطبعا واخراجا باشراف (مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر) التي اشتهرت مطبوعاتها بالاتقان الرائع . ولكن عدم مراعاة المؤلف الفاضل للمبدأ السالف الذكر في الجمع والتحقيق أدى به الى الوقوع في أخطاء من أهونها الحديث عن مجلتي (السمر) و (العصبة) اللتين لا وجود لهما الآن واغفال طائفة من فطاحل الشعراء المهجريين في طليعتهم نعمة الحاج (رئيس رابطة منيرفا)

(١) احاديث الاذاعة المدونة هي في حكم المطبوعات

والدكتور سليمان داود (الشاعر الكلاسيكي الممتاز) وأسعد رستم (الشاعر الشعبي المشهور) وملحم الحاوى (الزجال النابغة) . وقد تفضل بحديث كريم عنا لم يخل من أخطاء أيضا فضلا عن موقفه من شعرنا ، فقد نسي أهم عمل أدبي لنا في انجلترا وهو تأسيسنا (جمعية آداب اللغة العربية) التي تولينا سكرتيريتها ، كما تولى رئاستها المستشرق الشهير العلامة الدكتور مرجليوث ، وديواننا المهجرى الاول في انجلترا الموسوم (ألحان الغريب) الذى ظهرت نخب منه منذ أربعين سنة في (الهلال) و (المقتطف) وغيرهما من المجلات والصحف ، وتراءت في المهجر الامريكي كما ذكر الاديب المهجرى المعروف الاستاذ ديب نعوم ليون ، ثم انه اقتصر على مختارات من ديوان بل بعض ديوان فحسب ظهر لنا بنيويورك في نهاية سنة ١٩٤٩ ، وأعرض عن دواوين أربعة مخطوطة تمثل شعرنا المهجرى الخالص ألا وهي : (الانسان الجديد) ، و (النيروز الحر) و (من أناشيد الحياة) و (ايزيس) ، وفيها عشرات القصائد الفنية التي تتمثل فيها روح الثورة الانسانية ، والحنين الى الوطن ، وحب الطبيعة ، والتصوف الفلسفي ، والتأمل والوجدانيات ، والتصوير ، وغيرها من الاغراض الجديرة بأي شعر حي ، وفيها من الشواهد لمباحثه أضعاف ما لقيه في بعض ديوان . وأشار الى ماحسبه من شعر (١) المناسبات العابرة لنا ، ونحن ننكر أن لنا شيئا من ذلك ، فالعناوين غير المضامين أو على الاقل ليست معيارا شاملا لها ، وقد استشهد بين ما استشهد به من هذا القبيل بقصيدتين لنا ظهرتا في ديواننا (من السماء) ، احداهما « ذكرى المهرجان اللبناني الكبير » والاخرى « رثاء عبد المنعم رياض بك » . فاذا نظرنا في القصيدة الاولى وجدناها تمجيدا مخلصا للبنان واللبنانيين العصاميين في أسلوب فني من الوصف الى جانب موسيقاها الكلاسيكية مما ارتفع بالقصيدة فوق صلتها بحادث معين ، ومن أجل ذلك تنوقلت وقرظت مرارا ، وقد جاء فيها : —

أبناء (فينيقيا) عشتم لاجيال	مفاخر الفن والاقدام والمال
ما عابكم أنكم دنيا لانفسكم	بل عاب حسادكم عجز بأغلال
تفجر الحزم منكم في مراحلكم	تفجر النبع لم يخلق لاذلال
كلاكما جائش فاضت عواطفه	وسعيه ، فسما عن فن مثال
كأنما (الارز) من قدسي منبته	يمتد فيكم بآثار وآجال

(١) جميع « قصائد المناسبات » الاخرى التي نعتها بهذا الوصف هي ذات روح انسانية عامة كيفما كان موضوعها .

وتنتحى أمما شتى بواسقه ... فتفتنى أمم من بعد اقلال
كأنما كل فرد بينكم بطل ... والمجد لم يدخر الا لابطال

***

يامطرب (المهرجان) الحر قد طربت ... مسامع الدهر فارفع لحنك العالى
مضت كوارث ذاق الدهر لوعتها ... اذ جنت الارض واستخذت لجهال
فليسمع اليوم ما أعددت من نغم ... يشفى الكلوم ويحيى المنزل الخالى
لاحسن غير جمال الفن يسمعنا ... بعد الدموع بأحلام وآمان
من مثل قومك فى انشاد شاعرهم ... أو عزف مزمارهم أو وحى موال
فى بسطة كانسياب النهر متئد ... أو وثبة كجرىء فوق شلال
أنشد مديدا ، ولا تسأم ، فمنك هدى ... مثل الاذان لحجاج ونزال
ويا أماليد (قاديشا) وزينته ... للرقص والشدو هذا المعرض الحالى
حيث العواطف ألوان منوعة ... تجمعت فى هوى (لبنانها) الغالى

***

ما أجمل الحب فى دنيا تآلفه ... حيث الجمال بأضواء وأظلال
حيث (الطبيعة) لم تبخل بزينتها ... وحيث كل جلال دونها بال
مدت موائدها الفيحاء فاخرة ... وجمعت بين ظبيات وأشبال
من الفواتن من أنطقن فى مرح ... صخور (لبنان) ألحانا بسلسال
من الفوارس من زانت مفارقهم ... غر الاكاليل أو ركاب أهوال
من أمة صحف التاريخ عاطرة ... بذكرها ، وعزيز مجدها الحالى
حار الرواة بما أسدت وما صنعت ... مدى القرون ، وحار الباحث التالى
ولم تزل سيرة للمجد صادحة ... ومضربا لاعاجيب وأمثال
أليس من بدع الاقدام ما مثلت ... فى (المهرجان) بآيات وأعمال ؟
قد أرضخوا القدر العاتى لهمتهم ... ولم يبالوا بألغام وأوحال
وأطلعوا بيننا (لبنان) فى وطن ... ما كان للمقدم السامى بخذال
بينا شعوب تعانى وهى صاغرة ... فى الشرق موتين من ذل وامحال
من مبلغ أمتى سر الحياة بكم ... فقد أضيعت بها فى القيل والقال ؟!

***

ياوارثى من أضاءوا فى مهارتهم ... وفى جسارتهم نهجا لاجيال
وحل أعظم ارث فى تضامنكم ... وفى تعاونكم فى غير ادلال

لكـم تبعثـر أجيـال بزلزلة ولا يفـرقكم عـاد بزلـزال
طوبى لكم ، وليكن هـذا التراث غنى فوق الغنى ، لم يقـوم بعـد بالمـال ؟

☆☆☆

وأما عن رثاء عبد المنعم رياض « بك » المدره العظيـم ، والاديب الفحـل ، والوطنى الغيور ، والانسانى الفذ ، فانه من أقوى شعرنا الوطنى الثائر الذى أهديناه الى مصر والى روح الفقيد ، وقد توفاه الله بعد عودته اليها بقليل من نيويورك اذ كان بين مندوبى الامم المتحدة ومستشاريها ، وكانت لوفاته رنة حزن عظيم شرقا وغربا . كان ذلك سنة ١٩٤٧ والشعب مستنيم للطغيان ، وأصوات القلة الضئيلة من الشعراء المخلصين خافتة وأصوات غيرهم من المذبذبين عالية بل مدوية بالتسبيح للطاغوت ، وحينئذ ارتفع هـذا الصـوت الوطنى تأبينا وتقريعا للمستنيمين وللجاحدين وحربا على الظلم والظالمين : —

صوت من الغرب ناجى روحك السامى وان تعثـر فى حـزنى وآلامى
جـاز المحيـط على الامواج شـاردة شرود قلبى وأحـلامى وأيامى
أوفى جريحا كجرحى الحرب منطلقـا من القيـود ، ولـكن مرهـق دام
من موطن كنت أحـرى من يعـز به الى مـواطن اذلال وارغـام
صينت عن الفكـر والتفكير صـاغرة كمـا تصـان توابيت بأختـام
لـكم سـعيت لـكى أبقيـك موئلنـا (١) فخـاب سـعيى ولم ينقـذك ايلامى
وفتنـا بخضـم زاخر لجب وعـالم بخطـايا النـاس دوام
وكنت تمـزح فى خـوفى وفى لهفى بخـاطر كرفيـق الزهـر بسـام
أين الالى طالمـا أشـبعتهم نعمـا وما اسـتحقوا ، وما كانوا لانعام ؟
رفعت أرؤسـهم فى غير منـزلة شـأن الكريم ، فمـا اعتزوا باكـرام
أين الوفـاء ، وما أرجـوه فى زمنى من معشر بين خفض النفس والهـام ؟
كـم حاصروك لاهـواء ومنفعـة واليوم شـق عليهـم بعض المـام (٢)
ان تنس لـم تنس فى قلب يـذوب أسى وان تبلـور فى شـعرى وأنغامى
يشكو من الغيث (٣) من يشكو وفى حرقى لايشـتكى فى وفـاء قلبى الظـامى
أن الربيـع أبينى فى عواصـفه وصـاح بين تباريحى وأسـقامى
وشـاب أهـواءه ما شـاب خاطرتى من الـكلال ولم يعمـر بأيام

---

(١) جاهد الشاعر لاستبقاء الفقيد فى نيويورك فلم ينجح .
(٢) تحاشى أمثال هؤلاء حضور حفلة تأبينه .
(٣) اشارة الى اشتداد المطر فى نيويورك .

كأنما كل شيء حال في نظري … الا مثالك في نبل واقدام
الا نزاهتك القصوى لدى زمن … فيه النزيه غريم بين أخصام
الا وداعتك المثلى يدين لها … من لايدين لبرهان وأحكام
الا وفاؤك للعانين تسعفهم … وكلهم من رعايا قلبك السامى
تولى الجميل وما تدريه مغتبطا … وشاكرا شكر مخدوم وخدام !

***

هل يعلم (النيل) أى الناس غيبه … ذاك الاديم ، وان يقرن بأعلام ؟
وأى علم وأخلاق وتجربة … قد ضيعت حين اعياء واعدام ؟
وأى فضل وايثار وتضحية … كن الفداء لاقوام وأقوام ؟
قسط النبوغ يجود النابغون به … وقد يجاد بأرواح لانعام
عاشوا اغترابا بدنياهم وما سلموا … وجاوزوها على نار وألغام
وكل فرد شقى بينهم بطل … وقد يمجد بالتجريح والذام
أو لا ، فبالترك يضنيهم ويقهرهم … قهر الجفاف لجنات وآجام
ماذا انتفاعك بالذكرى ، وما انتفعت … بك الحياة سوى فى بعض أحلام ؟!

***

من مرجعى لزمان كنت بهجته … وكان مرآك اسعادى والهامى ؟
جم السماحة ، لاينجاب عارفه … كأنما هو موكول بأيتام
المدره الفذ لاتدمى مطاعنه … ولا تعاب باسفاف وايلام
والفاتح العضب لاتنسى معاركه … كأنها غزوات بين أجرام
يصغى اليه الذى يعنو لحجته … كالصلد يعنو لغمر الجحفل الطامى
لم ينس أمرا اذا ما صال مقتحما … الا عواقب اجهاد واقحام
الا مكانتك العظمى ، فما هبطت … جهوده لمباهاة واعظام
كان المثال المرجى فى رجاحته … فأين أين المرجى بين أصنام ؟!

***

(مدينة النور) لم تطفأ عليه أسى … ولم ينكس بها مفجوع أعلام
وما تذبذب تيار الحياة بها … ولا بكته ، وما بالت بأوهامى
ولا المحافل أحياها وأبهجها … ريعت ، ولا شاه غرس حولها نام
فى كل مرأى جمال كنت أعبده … ولم يزل وحى صداح ورسام
لئن صدفت بحزنى عن مفاتنها … فما تبالى بلوعاتى واحجامى

كأنما لم تزل فيها بشاشته   وعذب أقواله فى رجع أنغام

***

ان الاستاذ عبد الغنى حسن لذو حفاظ على اللغة ، كما أنه ذو أسلوب حلو خلاب ، ولذلك يجتذبه مثل هذا الاسلوب لدى ايليا أبى ماضى فيغدق عليه الالقاب ، ولكن للادباء المهجريين رأيا آخر ، ويهمهم « الحفاظ على الفن » قبل « الحفاظ على اللغة » وتهمهم الاصالة ، وهم لايقرونه على رأيه حينما يذكرون بين مايذكرون مثلا أصل « الطلاسم » و « هى » بالانجليزية وأصل « الطين » بالعربية الشعبية (١) وحينما يهمهم الشعر الاصيل الذى يرقى بأدبنا لا المقتبسات المهضومة أو المترجمة فحسب .

هذا ماعن لنا ذكره من ناحيتنا تلبية لدعوة نفر من زملائنا فى (رابطة الادب الحديث) بمصر و (رابطة منيرفا) فى أمريكا ، ممن يهمهم الوقوف على رأينا الشخصى تجاه حركة التأليف عن الشعر المهجرى خاصة وعن مبلغ اسهامنا فيه ، وهذا الاسهام لم يقتصر على الموضوعات العديدة الفنية فى أكثر من أربعة دواوين ، بل شمل الاقاصيص والتمثيليات الشعرية وأضخمها « كليوباترة بطلة مصر » وشمل حرية التعبير والاوزان والقوافى فى التمثيليات ، ولم يقتصر على الادب الرومانسى أو السريالى أو الرمزى فحسب ، بل عنى أيضا بالادب الواقعى الذى أهمله الجيل السابق . وغنمنا من الوسط الامريكى هو جوه الحر الذى يغذى التفكير الانسانى الطليق . وعندنا أن الشعر العربى المهجرى فى العالم الجديد متأثر الى حد بعيد - كما ينبغى أن يتأثر - بالتيارات الروحية والفكرية والعاطفية التى تتمثل فى الحياة الامريكية وفى الطبيعة الامريكية ، ومن يقاوم هذه التيارات غافلا عامدا انما يكون متصنعا وخارجا على روح الادب الامريكى .

وكان فى امكان الاستاذ عبد الغنى حسن وسواه من فضلاء المؤلفين الباحثين فى الادب أو الشعر المهجرى عرض تصانيفهم المخطوطة على شيوخنا الادباء اللامعين أمثال عبدالمسيح حداد ، وديب نعون ليون ، وقيصر وحيد ، وتوفيق ضعون ليبدوا ملاحظاتهم النقدية عليها قبل طبعها ، ولا غبار على ذلك ، بل ثمة كل الفائدة من الانتفاع بمشورة أولئك الاعلام المهجريين .

وهناك من شعراء الشباب المهجريين النابهين من يستحقون الالتفات اليهم وفى مقدمتهم يوسف الخال محرر جريدة (الهدى) وصاحب ديوان (الحرية) ومسرحية (هيروديا)

(١) اذاعة الاستاذ روكس بن زائد العزيزى عن « أثر البادية فى أدبنا المعاصر » من ((**محطة الشرق الادنى**)) وقد ظهرت فى كل من جريدتى « السائح » و « **الاصلاح** » النيويوركيتين .

وغيرهما من الآثار الانيقة الشائقة ، فالاقتصار على الشيوخ ليس من الانصاف لا لهم ولا للشعر المهجرى عامة .

وفى الصحف المهجرية ـ وعلى الاخص (السائح) و (السمير) ـ طرائف من الشعر المهجرى لشعراء متعددين ، كثير منها جدير بأن يجمع فى ديوان مستقل وبأن يشير اليه المؤلفون عن هذا الشعر . وبين شعراء الشباب المهجريين النابهين سعيد جبرين وهو كزميله يوسف الخال رومانسى النزعة مع حنين الى الرمزية ، وقلما يخوضان ميادين الادب الواقعى أو مناسباته ، وما نقول هذا انتقاصا ، وديواننا من شعر الشباب الموسوم (زينب) قد يكون أول ملحمة عاطفية فى الشعر الحديث تفيض بالرومانسية ، وانما نذكره تقريرا للواقع فحسب . وشعر المناسبات المهجرى لايتجافاه الشبان ولكنه غير شعر المناسبات الشائع فى بقية العالم العربى ، اذ أغلبه منصب على حوادث تافهة عابرة ، ومنه مايلوثه الصغار والملق ، وليس كذلك معظم شعر المناسبات المهجرى ، فانه يتخذ من الظروف منبرا فحسب لنشر أيديالية رفيعة ولبث رسالة معينة ، وقد ضربنا مثلا بقصيدتين مما نعته الاستاذ عبد الغنى حسن بشعر المناسبات الطارئة ، وذكرنا نصيهما ليدرسهما الادباء ، ولولا ضيق المجال لذكرنا نصوص القصائد الاخرى التى عينها للغاية ذاتها ، فقصيدة « تحية وفاء » فى يوبيل جريدة (الهدى) الخمسينى فيها وصف أصيل وجدانى الطابع للشتاء فى نيويورك ، ورثاء « حسنى الزعيم » هو من الشعر القومى الانسانى الثائر ، وقد تحقق مافيه من تنبؤات ، ورثاء نسيب عريضة المعنون « هكذا حدث ... » هو من الشعر الفلسفى الوجدانى العميق ، وأما رثاء خليل مطران المعنون « الشاعر السامى » فمن عيون شعرنا الجامع بين العاطفة والوطنية والتاريخ الفنى . وهكذا كان ولا يزال موقفنا من شعر المناسبات ان جاز أن يطلق عليه هذا النعت ، وشتان بين هذا وبين شعر المناسبات الشائع فى الشرق كأنه من النشرات الصحفية ، وقد حملنا عليه ولا نزال منذ سنين بعيدة ، اذ عددناه امتهانا صارخا للشعر .

ويطيب لنا فى ختام هذا الحديث أن نذكر هذا العرض الفنى المسمى (موسيقى فى الليل) الذى أعده سعيد جبرين لاجتماع (رابطة منيرفا) بوشنطن فى مارس سنة ١٩٥٥ ، اذ نجد فيه عناصر فنه مجتمعة على أحسن وجه من رومانسية وليريكية وابداع وصفى وعرض تمثيلى :ـ

الراوى :

سكن الليل وأغراه السكون   فتهادى ناعم الجرس حنون

فأصاخ السفح والوادى استعادا وهفا تل الى تل ونادى :

من ترى هذا المغنى صاحب الصوت الاغن

هاج فى السمار أصداء حنين « لربوع ما رأتها قط عين ؟ »

(موسيقى)

الراوى :

وندامى عرفوا سر السكون

وهو يحدو للدجى مبتهجا

صاخبا ••• يدلج بين السامرين

ههنا ينكأ جرحا ••• وهنا يشعل نارا

وهنا يرجع طيفا ند دهرا وتوارى

واذا يمضى الدجى فى سراه مدلجا

تتعالى فوق أمواج السكون

زفرات المدنفين وشكاوى المتعبين

ونداءات الحيارى التائهين

هكذا تولد فى الليل اللحون !

(موسيقى)

الراوى :

وعلا فى الجو صوت المنشد ، من بعيد

يقلب « الآه » فنونا وفنونا ، ويعيد

بين أنات « الحجاز » ••• وتهاويل « العجم »

تارة جرح ونزو وألم

ثم آنا يبرز الجرح كفم

وسرت بين الندامى رعشة وتراجيع تمن وحنين

واذا خفت تراجيع التغنى رفعوا أصواتهم مستلهمين :

من ترى هذا المغنى صاحب الصوت الاغن ؟

سامر (١) :

عله جواب آفاق غريب الدار ناء

لم يمتع من هواه أو صباه بالهناء
جائع ما أنعم الخبز عليـه باكتفاء
غربة عضته مابين الصحاب القرباء
فمضى يضرب فى الآفاق فى غير رجاء
بعيوان غاض فيها كل سحر وضياء
ومحيا فيه من أبلغ آيات الشـقاء
يكره النـور ويستهويه تهويم المساء
فاذا ما جنه ليـل سكون وصـفاء
أرسل الصوت وغنى ، فتسلى بالغناء

جوق :

ايـه يا هـذا المغـنى صـاحب الصـوت الاغن
صـوتك العـذب الحنـون لحنك السـاجى الحزين
هاج فى السمار أصداء حنين « لربوع ما رأتها قط عين »

سامر (٢) :

علـه هـاوى مـدام هجـر ألحـان وهـام
بعد كأس أشعلت بين حناياه الضرام
سكرة ضاءت بعينيه ودبت فى العظام
بعثت تذكار ماضيـه سخى الابتسام
يحمل الافراح فى ظل شباب وغرام
وكؤوس الراح لماحا سناها فى الظلام
والصبوح الحلو فى السدفة والناس نيام
ذكريات ، أى جفن رفها يرضى المنام ؟
فمضى فى التيه ، والصوت تهادى فى انسجام
يشتكى الليل الى الليل عتابا وملام

جوق :

ايه ياهذا المغنى ... الخ

سامر (٣) :

عله صب يبث الليل أشجان هواه

والذى يهواه فى الشرفة يصغى لغناه
مع نجوم ، وصلها أدنى منالا من رضاه
ونسيم كلما ألوى عليه واحتواه
أحرقته النار فانساب مع اللحن وتاه
نغم أى التياع لم يرجعه صداه
كلما صعد آها طاف فى كل الشفاه
رعشة موجعة ترفض عن بحة آه !

جوق :

ايه ياهذا المغنى ... الخ .

سامرة فنية :

تلك أنفاس حبيبى والشذى السارى شذاه
والصدى المخنوق بالآه صداه وغناه
قد تواعدنا الى مطلع سار فى سماه
ناعم الطلة والضوء بطىء فى سراه
وحبيبى لم يزل طفلا غريرا فى هواه
حبه لايعرف الصبر ولا بعض مداه
رصد الشهب فما طالعه سار رعاه
فمضى يشكى ، ويدعو ، ويغالى فى دعاه
ياحبيبى ! أيها المستوحش السارى خطاه وغناه
قف ، تمهل ! فالدجى مازال فى شرخ صباه
عابقا بالعطر حلو البوح بساما لماه

ياحبيبى !

(تخرج)

جوق :

ايه يا هذا المغنى صاحب الصوت الاغن
ان من تدعوه قد وافى وقد لبى النداء
والذى ترصد قد لاح بعينيه وضاء
فاترك النوح وأرسل صوتك العذب وغن

ولتثر نجواك ما بين جموع السامرين
هزة مفرحة ترفض عن آه حنين
لربوع وسماء « ما رأتها قط عين » !

اننا نؤثر ألا نناقش الحساب أولئك الكتاب الغيورين والمؤلفين الافاضل الذين تدفعهم حميتهم الى البحث فى الادب العربى المهجرى فان لهم علينا حق الشكر ، وبحسبنا التنبيه الى واجب التدقيق والشمول ، أو على الاقل التمثيل الاصلح ، اذ لامعنى للاقتصار على طائفة معينة من الشعراء أو على نماذج محدودة ، حتى أن شاعرا كلاسيكيا ممتازا مثل الكعدى أغفل شأنه ، كأنما بوليفيا ليست من الاقطار الامريكية ! وثمة أقطار ومدن شتى فى القارة الامريكية تزدان بشعراء موهوبين يؤثرون التوارى أو تتفرق آثارهم فى الصحف دون متتبع صبور يحفل بجمعها والتعليق عليها،وفى الحق ان التأليف عن الشعر العربى فى المهجر ليتطلب زمنا وجهدا طويلا وسياحة فى الاقطار المهجرية كما اعتاد أن يصنع الاديب الشاعر والصحافى المهجرى الاستاذ توفيق ضعون ، ولكن همه كان أكبر من أن يحصر فى الشعر كما تدل تآليفه الواعية الناضجة العامرة .

وقد بدأنا هذا الحديث بالتنويه بقلم الاستاذ محمد عبد الغنى حسن وبذوقه الادبى المرهف ، كما نوهنا بمجهود مؤسسة فرانكلين ، ونعتقد أن شاعرنا الناقد المؤرخ أهل لان تنتدبه هذه المؤسسة مع جامعة القاهرة مثلا للسياحة فى الاقطار الامريكية ليتصل مباشرة بالشعراء والهيئات الادبية ، فيتمكن من تحبير كتاب أوفى وأدق خليق بأن يصبح المرجع المعتمد عن الشعر العربى فى العالم الجديد .

ملامح من الأدب المهجرى

فى التاسع عشر من يناير سنة ١٩٥٥ أعادت جريدة (النيويورك تايمس) نشر صورة لتجمد نهر الهدسن كانت أذاعتها فى الثالث عشر من يناير سنة ١٩١٨ أى منذ سبع وثلاثين سنة فذكرتنى بقصيدة « النهر المتجمد » لميخائيل نعيمة الذى خسرنا شعره الرصين مذ اجتذبته اليها ميادين التفكير الفلسفى ، ورددت قوله الذى استوحاه من ذلك المنظر العجيب : ــ

يانهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟

أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟

وأخذت أتأمل فى نواحى شاعرية هذا الاديب الموهوب وكيف مزج الواقعية بالرمزية والتفكير الفلسفى الانسانى ، وكيف أن شعره على قلته مستمد من لباب الحياة ، فهو كنز صغير ثمين • واذا بى أتلقى دعوة (رابطة الادب الحديث) بالقاهرة للاسهام فى كتابهاعن الحركة الادبية المعاصرة فى العالم العربى وفى المهجر الامريكى ، فقلت نعمت الفكرة ، ففى الرابطة أدباء ممتازون غيورون على خدمة الحق بالتأريخ الصادق والتوجيه السديد، وأردت تلبية تلك الدعوة بهذا الحديث الموجز مذ أن الوقت والمجال لايسمحان بالتوسع ، وشكرت للرابطة ثقتها بميزانى النقد المستقل وبذوقى الادبى الحر ، وعلى الاخص لانى أعيش فى البيئة التى تريد منى التعبير النزيه عنها ، ولو أن الاولى منى بهذا أحد شيوخنا الادباء اللامعين ، وفى مقدمتهم الاديب المفكر الاستاذ ديب نعوم ليون ، أو الشاعرالشعبى الموهوب أسعد رستم ، أو الزجال المحلق ملحم الحاوى ، بله الاديب النقادة الكبير عبد المسيح حداد صاحب جريدة (السائح) الذى دانت له (الرابطة القلمية) طويلا بجهود ومآثر شتى مما أجملته فى أحاديث سابقة عن الادب المهجرى •

والادب المهجرى مذ صحب الماهدين المتعلمين من الشرق الاوسط الى أمريكا فى أواخر القرن الماضى كان أدب حياة وقوة بحكم البيئة الجديدة التى غرس فيها سواء أكان بالفصحى أم بالعامية • وقد ظهرت صحف شتى تباعا منها ماعمر ومعظمها انقرض ، ولكن جميعها أدت رسالتها العملية للجاليات العربية ــ وعلى الاخص الشامية منها ــ خير أداء وجعلت قراءها يشعرون بجو العالم الجديد فى التجارة والصناعة والحياة وفى الثقافة عامة •

فاذا أخذنا شاعرا مثل ميخائيل رستم الشويرى الذى كان شاعرا شعبيا نجده ينعى على المحافظين تمسكهم بالزى القديم وتقليدهم السخيف للسلف على الرغم من تبدل

الظروف (١) : ـ

ولقد ظنوا بتقليد السلف غيرة كبرى على حفظ الشرف
ليت كل واحد منهم عرف أن هذا الزى غاد المتلف
وتردوا غيره لو عقلوا

أيها الشرقى دع عنك العناد واتبع ياغافل سبل الرشاد
ان للطربوش عصرا لايعاد بين قوم قطنوا هذى البلاد
حيث هم قد غيروا واستبدلوا

واليك مثالا من نثره للتدليل على أسلوبه السمح وعلى عقليته السمحة أيضا ، وكلاهما من أثر البيئة الامريكية . قال بعنوان « مساحو الاحذية يبنون نزلا بمليون ريال » (٢):

« من أنباء يونيونتون (فى ولاية بنسلفانيا) أن خمسة أخوة يونانيين عندهم محل لمسح الاحذية بعنوان (غريغورى اخوان) قد أعلنوا بأنه فى غرة تشرين الاول ستتم بناية نزلهم الجديد الذى كلفهم مليون ريال . قدم هؤلاء الاخوة منذ خمس عشرة سنة من بلاد اليونان ، وليس فى وفاض أحدهم شىء من المال ، فعكفوا على العمل مختارين مسح الاحذية ، وما زالوا منذ وطأوا هذه البلاد فى تلك المدينة الى اليوم يعملون بهذه المهنة مقتصدين عاملين حتى بلغت ثروتهم مبلغا طائلا من المال فاشتروا الاراضى والبيوت ؛ وآخر ماظهر منهم أنهم ابتنوا النزل المذكور فى قلب المدينة على بعد مربعين من مركز التجار . هذه هى أمريكا ، ولكنها ليست للكل أمريكا كما يفهمها الذين يترقبون النعم من السماء دون أن يحركوا قدما أو يغمسوا ساعدا فى عمل من الاعمال » . وهذا الادب العملى الناضج هو وحى أمريكا ووحى الغرب عامة ، ويذكرنا بصيحات الكاتب المصرى التقدمى الواسع الافق سلامة موسى منذ سنين وسنين داعيا الى الواقعية فى الادب ، والى الاهتداء فى الحياة بمثال عملى شريف ، والى اعتبار اللغة وسيلة لاغاية . وثمة دواوين وصحف ومجلات شتى أغلبها اجتماعى شعبى تجارى ظهرت فى القرن الماضى ، حمل بعضها طابع المشرق ، ولكنها جميعا تأثرت بالوسط الجديد .

وما جاء العقد الثانى من هذا القرن وتوطد استقلال الادب الامريكى الا وأخذ الادب العربى المهجرى يظهر استقلاله أيضا . صحيح أنه فى روحه بمثابة أدب أمريكى معبر عنه باللغة العربية ، ولكن موضوعاته شرقية غربية معا وروحانية كذلك . واذا زرت مكتبة الكونجرس مثلا وقلبت مطبوعات ذلك المعهد فلا يمكن ان تفوتك هذه الظاهرة

(١) ديوان (الغريب فى الغرب) ج ٣ ، ص ٣٦ ، سنة ١٩٢١ م .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

فيها• واذا تأملت مثلا فى ديوان (الايوبيات) الصادر سنة ١٩١٦ وجدت رشيد أيوب ــ على الرغم من رومانسيته الموروثة من الشرق ومن الثقافة الفرنسية التى تغلغلت فيــه حينئذ ، يعتنق الواقعية ويبرزها فى أجمل صورة وضعية • استمع مثلا الى هذه الابيات من قصيدته الجامعة « نيويورك » (١) :ــ

بنوها بروجا خافقات بنودهــا ... على قمم باتت تعز عــلى النسر
تضىء بهــا الانوار ليــلا ، كأنها ... تلوح لنا بين الكواكب والزهر
اذا لمحتها الشمس تبدو لنــاظر ... عرائس تجلى فى ثياب من التبر
وان ضحك البرق الهتون مداعبا ... ذراها انثنى بين المخافة والذعر
تمر الرياح الهوج غضبى عواصفا ... على كل برج شامخ باسم الثغر
كأن يد الايام عنــه قصــيرة ... وطرف الليــالى تاه فى المهمــه القفر
كأنى بالصــبواى (٢) يوم تجمهرت ... بها الناس خلت الناس فى موقف الحشر
تروح بها الكارات (٣) ملأى خلائقا ... وترجع فيها مثقلات الى الجسر
وما ضرها والــكهرباء تجرهــا ... وكم مثلها من فوقها قد غــدت تجرى
عجبت لارض كيف غصت بشعبها ... وما برحت تلقى التهــافت بالبشر !
فيحسد من فى الظهر من ســار بطنها ... ويحسد من فى البطن من سار فى الظهر
ونهر تمر القــاطرات بجوفه ... يبيت خلى البال منشرح الصدر
حكى القبة الزرقاء ، تسرى بواخر ... عليه بأنوار كأفلاكهــا تسرى
اذا لعلع الرعــد الهتون بجوهــا ... غضوبا أجابته البواخر فى النهر (٤)
تخاف اصطداما فى دجاه ، كأنهــا ... تقول له : يارعد ، لا تعتمد ضرى !

ويلاحظ فى هذا الشعر حرية التركيب وحرية استعمال الالفاظ فى معان جديدة ، وهذا ماكان يصنعه جبران خليل جبران ذاته على الرغم من ولوعه بالشــعر الجاهلى وحفظه الكثير منه (**) ، فحب الابتكار والتحرر اللفظى والبيانى من الصفات التى يتسم بها الادب الامريكى المعاصر وبالتالى الادب العربى المهجرى ، وشــعراء المهجر هم أساسيا شعراء مبتدعون ومن صفوة شعراء المعانى ، فاذا ماشغل بعضهم باللعب بالالفاظ

(١) ديوان (الايوبيات) ، ص ١ •
(٢) الصبواى Subway نفق القطارات الكهربائية الجوفية .
(٣) الكارات : جمع الكار ، أى المركبات •
(٤) نهر الهدسن (غربى نيويورك) حيث وقف الشاعر ينظم قصيدته •
(**) بين اقطاب الشعر المهجرى المولعين بالعبــارات الكلاسيكيــة الدكتور ســليمان دأوود فى شمالى أمريكا ، وشفيق المعلوف فى جنوبيها ، وقد ينحو هــذا النحو أحيانا الياس فرحات وجورج صيدح •

وبالرنين صار غريبا عنهم وصار شعره ـ على ما وصفنا من قبل ـ كغزل البنات ، فهو هش ، براق ، منمنم ، كبير الحجم ، ولكنه قليل المادة • وهذا الضرب من الشعر يفرح به في المهجر ذوو التعليم السطحى أو عامة الجوالى العربية ويفرح به فى الشرق طلبة المدارس الثانوية أو من دونهم ، ومن نصبوا أنفسهم لنقد الادب والشعر دون أهلية من ثقافة أو ذوق أو استقلال أو ألمعية أو رسالة حيوية متميزة •

لم يقطع الادب المهجرى صلته بالشرق أو بالعروبة أو بالاسلام ، فجميعها مؤثرة عليه من النواحى العاطفية غالبا ، وهذه تشمل الوطن والسياسة والدين ، وتتجلى فى الموضوعات المعالجة • ولعل رومانسية الادب المهجرى مستوحاة فى بدايتها من الشرق ، من الشاعر المجدد الاول خليل مطران ، وكذلك الاساليب الكلاسيكية المجددة اتباعا لمدرسة البارودى ، ثم سرعان ما استقل شعراء الطليعة المهجريون بكل شىء تحت تأثير البيئة الامريكية ، وأظهر مثل لذلك ايليا أبو ماضى ، فشعره الاول فى مصر وشعره المهجرى الاول غير شعره المهجرى الاخير بعد ان طال استيعابه لتيارات الفكر الامريكى التى تلائم ذوقه وتعليمه ، ومع ذلك لايزال يؤثر الموسيقى على عمق المعانى ، خلافا لنسيب عريضه وميخائيل نعيمة مثلا • استمع الى هذه الابيات النموذجية من قصيدته التى نظمها على لسان (لبنان) مخاطبا المهاجرين (١) :

ياشاعرى ! قل للألى هجرونى	أنا ما نسيتكمو فلا تنسونى !
ما بالكم طولتمو حبل النوى	ياليت هذا الحبل غير متين
هل أنبتت (كالارز) غيرى بقعة	فى مجده وجلاله الميمون
أرأيتمو فى ما رأيتم فتنة	كالبدر حين يطل من (صنين) ؟
أو كالغزالة وهى تنفض تبرها	عند المغيب على ذرى (حرمون) ؟
أنتم ديون لى على (أمريكا)	ومن المروءة أن ترد ديونى
(لبنان) فيكم ماثل ان كنتمو	فى(مصر) أو فى (الهند) أوفى(الصين)!

وأما نسيب عريضة فلا يرضى الا التعمق ، فينشد بلسان (سورية) هذه الاهزوجة(٢) بموسيقاه الخاصة ، لا بموسيقى الجماهير المألوفة :ـ

يا شاعر الاوطار	خل الهيام !
قم حطم القيثار	وانض الحسام !

(١) ديوان (الخمائل) ص ١٤٧ •
(٢) ديوان (الارواح الحائرة) ، ص ٨١ •

واصنع من الأوتار
قوسا لاخذ الثار
واخلع قميص العار
والبس ردا الجبار !
لا تمحى حتى هند الزمان
ثاراتنا شتى نأبى الهوان
فآنزل عن الاقمار
لا ترقب الاقدار
أشعل لدينا النار
واضرم بها الافكار !

وأما الشاعر الفياض نعمة الحاج فتدفعه وطنيته الى أن يقول في قصيدته «بلادى» (١):

أنبكى ؟ وما يجدى البكاء ، وانه لشر سلاح يحمل المرء مرغما
سلاح ضعيف العزم ليس بنافع ليدفع غرما أو ليجلب مغنما
فلا قول الا للحسام مجردا ولا حق الا للسنان مقوما
ويا حبذا يوم الجهاد ، فانه ليطربنى فيه الرصاص مدمدما
أأبناء (سوريا) وهذا أوانكم لكى تظهروا للناس فى مظهر سما
أخاطبكم فى ذا المصاب ، واننى لاكبر فيكم أن أخاطب نوما
كفانا اختلافا فى النوى ونكاية ألم تكفنا الارزاء أن تتعلما ؟

الى آخر هذه القصيدة الواقعية الكلاسيكية الاسلوب العصرية الروح ، وهذه نزعة يماثل نعمة الحاج فيها من شعراء الشباب أو يتجاوزه يوسف الخال وسعيد جبرين ، وكلاهما متشيع لمدرسة سعيد العقل الوصفية الحسية ويميل الى نحت الالفاظ ، خلافا لنعمة الحاج الذى يرسل نفسه على سجيتها ارسالا . ولمن يريد الاطلاع على طرف من الادب المقارن – الادب المهجرى وأدب المشرق ، أن يقرأ كتاب (الشعر والشعراء) لابن جنى (٢) وعلى الاخص ماذكره عن محبوب الخورى الشرتونى وايليا أبى ماضى ، وانه لكتاب نفيس لايستغنى عنه أى ناظر فى معايير النقد الادبى فى المهجر ، وما يزال

---

(١) ديوان نعمة الحاج ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
(٢) طبع دار الهدى سنة ١٩٣١ ، المؤلف أديب مهجرى آثر هذا الاسم المستعار وعرف به ، وقد توفاه الله .

الكتاب ـ لحسن الحظ ـ ميسورا •

ان الادب المهجرى يتمثل فيه الاطلاع والتفكير والشعور والاداء والنقد ، شأن كل أدب آخر • فأما الاطلاع فقد بلغ شأوا كبيرا عند أمثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وأمين الريحانى ونسيب عريضة ، ولذلك نجد تعمقا فى انتاجهم نظما كان أم نثرا ، رغما عن اختلاف مناحيهم ، ولكنهم اجمالا أحفل من سواهم بالحياة ورسالتها ، وكأن كلا منهم مبشر بها •

وهذا التعلق بالايديالية أو المثالية نادر بين المشارقة العرب ، فما أقل أمثال محمد حافظ ابراهيم وجميل صدقى الزهاوى وأبى القاسم الشابى واحمد محرم ، ولذلك نعد من الواجب المقدس الاهتمام بدراستهم والاطلاع على ماكتب عنهم من مؤلفات رشيدة رصينة ، ومن أكرمها وأصلحها كتاب (كفاح الشابى) للاستاذ أبى القاسم محمد كرو وكتاب (مجرى الاوشال) للاستاذ سالم علوان الجلبى وقد نقد فيه نقدا متزنا منصفا ديوان (الاوشال) للزهاوى مع مقارنات شتى بينه وبين أنداده • ونحن نجد بين شعراء المهجر الذين لايعنون بالاطلاع ، أى المحدودى الثقافة ، سطحية فى الآراء ، وكل بضاعتهم الخيال والرنين وما اليهما مما يرضى الجمهور المحدود الثقافة وأصحاب الاقلام الهزيلة من النقاد المتطفلين • وأما التفكير فمجاله فى الادب المهجرى فسيح بفضل الحرية الشاملة ، والافتتاحيات الادبية فى (السائح) بقلم عبد المسيح حداد وفى (السمير) بقلم ايليا أبى ماضى وفى (مرآة الغرب) بقلم فريد غصن أشهر من أن تعرف اذ تتناقلها صحف ومجلات شتى فى أنحاء العالم • وهو تفكير حضارى تمتد جذوره الى صميم المدنية الامريكية ، وتمتد فروعه الى جميع نواحى الحياة ، وتشمل الشعر كما تشمل القصة والمسرحية والمقالة والخطبة والبحث الاجتماعى وغيرها ، وقد يتلون هذا التفكير بالنزعة الدينية التصوفية كما نقرأ فى قصيدة « سر معى » لندرة حداد (١) :ـ

يا أخى الساعى لنيل المجد خفف عنك جمحك
أنت لا ترضى سوى نفسك ان أحرزت فتحك
سر معى فى الارض تنس المال والجاه وطمحك
أنا راض بالعصا ، يا أيها الحامل رمحك
وسأرضى خبزك الاسود فى الحب وملحك

---

(١) ديوان (أوراق الخريف) ـ ص ١٧ •

وسأنسى جرح قلبى كلما شاهدت جرحك
وأرى ليلك ليلى ، وأرى صبحى صبحك
واذا أخطأت نحوى فأنا الطالب صفحك !

وتفكير الشاعر المهاجر بل الاديب المهاجر عامة تفكير مزدوج ـ فشطر منه يخص مهجره، والشطر الآخر يخص وطنه الاصلى ، وهو يوحد بينهما . فمن جهة نراه يستوعب مسائل محيطه الراقى ويتفاعل معها تفاعلا واقعيا وعاطفيا معا ، غانما بذلك أى غنم ومغنيا أدبنا المعاصر الذى يتلقى تفكيره ، ومن جهة أخرى نراه على البعد لايكتفى بحنينه الجياش الى وطنه الاصلى بل يسهم فى معالجة مشاكل ذلك الوطن ، وقد يكون على البعد المكافح الرائد وحامل علم الثورة . استمع الى هذه الابيات من قصيدة «حكاية مهاجر سورى » (١) لنسيب عريضة :ـ

غريبا من بلاد الشرق جئت — بعيدا عن حمى الاحباب عشت
تخذت (أمريكا) وطنا عزيزا — فكانت لى كأحسن ما اتخذت
أتاها للغنى غيرى ، وانى — كما جاؤوا مع الاقدام جئت
ولكنى طلبت بها حياة — مع الحرية المثلى فنلت !

ثم استمع الى هذه الابيات الرفافة بالحنين الى وطنه الاول (٢) فى قصيدته « غادة العاصى » :ـ

قلب يعيش على منى لقياك
ناداك ... لو تدرين كم يهواك
ناجاك دهرا قبلما سماك
ودعا سواك وما عنى الاك
واليوم يشهر نفسه بهواك !

***

عرف الصحاب صبابتى فتساءلوا :
« بمن الفتى عن لهونا يتشاغل ؟
هى نشوة فى القلب ظل زائل
من بعدها يصحو وينسى الغافل »
فأجبتهم : « حبى قديم زاكى » !

---

(١) ديوان (الارواح الحائرة) لنسيب عريضة ، ص ٢٦٧ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٥٧

« هو راسخ فى النفس مابقى الجسد
ولقد يدوم مع الخلود الى الأبد
حوريتى لا تسألوا عنها أحد
أوما علمتم أنها بنت البلد
من (حمص) ، مطلع لحظها الفتاك ؟ »

***

فتحت لقلبى قصره وعلاليه
فوق المجرة بنت (حمص) الغاليه
وهواك ، لا أنساك قرب « الساقيه »
أو فى المروج وفى الرياض الزاهيه
وأحب (حمص) لانها محياك

***

حمصية الجدين ، يانعم النسب
أنت الفريدة بين غادات العرب
بك تضرب الامثال فى كتب الادب
قالت : « وحمص جمال نسوتها عجب »
بأبى جمالا زانه بنهاك !

***

أنت المليحة ، مهجتى تفديك
حسن البداوة والحضارة فيك
وفتنت (ديك الجن) ، ويح الديك
« فتكات لحظك لا سيوف أبيك »
أودت به فقضى شهيد هواك !

***

يا غادة (العاصى) الرضية فى النسا !
حياك ربك فى الصباح وفى المسا
لست الوحيد على هواك تنفسا
لكن قلبى كله لك كرسا
هو مقدس لك ، وحيه عيناك !

ثم استمع الى قوله فى « نشيد المهاجر » (١) :ـ

تسير فى الغرب ذكر الارز والبان — ما هذبتك ليالى البعد ياعانى !
أحاضر أنت أم باد ؟ أمهتجر — فى الغرب ، أم هائم فى بيد (قحطان)
أكلما هبت الارياح خافقة — تجر فى ذيلها أنفاس ريحان
حسبتها نسمات الشيح فانطلقت — من أسرها زفرات العاجز الوانى ؟
وليس يرويك الا نهلة بعدت — من ماء (دجلة) أو سلسال (لبنان)
من أنت ـ ما أنت ؟ قد وزعت روحك فى — عهدين من شاسع ماض ، ومن دانى
أنا المهاجر ! ذو نفسين : واحدة — تسير سيرى ، وأخرى رهن أوطانى
ابن العروبة ـ لا أسلو الربوع ولو — كانت مثيرة أوصابى وأشجانى
بعدت عنها أجوب الارض تقذفنى — منى حثثت لها ركبى واظعانى
ما ان أبالى مقامى فى مغاربها — وفى مشارقها حبى وايمانى !

وقد نفح الادب العربى بقصائد مؤثرة لشعراء منفيين أو مغتربين كأبى فراس والبارودى وشوقى ، ولكن قصائد شعراء المهجر الامريكى فى الحنين الى أوطانهم الاولى ، أو فى التحرق لما أصابها من ضيم ، أو فى الدعوة للكفاح من أجلها ، هى أحر وأعظم وتستحق دراسة خاصة . والى جانب هذا نجد شعراء المهجر الامريكى عامة ـ وعلى رأسهم رشيد سليم خورى (الشاعر القروى) ـ أحفل بقضايا العروبة وبالذود عنها ، لانها تبدو فى جلاء لهم فى وسطهم الحر الذى يساعدهم بتجاربه على الحكم الراجح ، فضلا عن مساعدة ثقافتهم اياهم ، فاعتزاز شعراء المهجر بالعروبة اعتزاز كبير عميق ، والمثل الاعلى لذلك هو الشاعر القروى . أما عن الشعور المتجلى فى الشعر المهجرى فهو أولا شعور الانسان الحر ، ثم شعور الغيور المصلح ، ثم شعور الانسان المتمدن الذى عب من أرقى الحضارات ، ثم شعور العربى الرائد ، على الرغم من بعده ، وربما بفضل بعده عن بلاد العروبة ، ثم شعور الشاعر المثقف الذى أخذ من جميع عناصر الشعر المتعددة حوله بنصيب ، ولهذا كان معظم شعراء المهجر فى مستوى أرقى من مستوى قارئيهم أو سامعيهم فى الاقطار المتخلفة . والاستشهاد بنماذج هذا الشعر المتعددة لمما يشغل فراغا عظيما . وأما عن الاداء فهو أداء حر عادة ، أى أنه بعيد عن التصنع ، حتى ولو اتخذ الاسلوب الكلاسيكى أو الاتباعى

---

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٥٧

كما كان يصنع معظم شعراء (الرابطة القلمية) ، وفى العهد الاخير تجلى الشعر المرسل والشعر الحر وأمثالهما من ضروب النظم الطليق فى القصص والمسرحيات المهجرية فى أمريكا الشمالية • وأما النقد فهو غالبا نقد فنى معنوى ، أى أنه أبعدمايكون عن نقد الفقهاء ، ويعد ميخائيل نعيمة فى كتابه (الغربال) ، بين أدباء الطليعة الماهد للنقد الادبى المستقيم النزيه فى العالم الجديد •

والآن يعد الادب المهجرى فى ذروته بالنسبة الى ماضيه ، وذلك لقيام عاملين جديدين هامين : أولهما الاذاعة الاثيرية ، وثانيهما التدريس فى المعاهد والجامعات ، بله الجمعيات والهيئات وتضاعف عدد المستشرقين • ففى سنة ١٩٥٠ نشأت أكاديمية أدبية بل ثقافية عامة هى (صوت أميريكا) ، كما نشأت (رابطة منيرفا) ، واتسع الاهتمام بالادب العربى والثقافة الاسلامية فى المعاهد والجامعات الامريكية ، وازداد عدد المستعربين • فتعددت الحلقات الادبية ، واحتضن الادب العربى الامريكى ألوانا شتى من الثقافة ، وازداد ابتعادا عن أن يكون أدب ترف وأناقة أو مجرد خيالات جامحة أو مواضيع تافهة ثم برز (المركز الاسلامى) بوشنطن • وكما وجدت الاذاعة العربية فى (صوت أمريكا) أديبا نابها موهوبا فى شخص الاديب المهجرى عيسى خليل صباغ ليوجهها بخبرته وبقلمه ولسانه وجد (المركز الاسلامى) فى شخص العلامة الدكتور محمود حب الله المدير المثالى الغيور • وكلا الرجلين يقوم بمهمة خطيرة لخدمة العروبة والاسلام ، ولتوثيق الصلات بين الحضارتين الرائعتين الاسلامية والامريكية ، معتبرين اللغة العربية الشريفة عرضنا الواجب التكريم ، وممهدين لعهد أزهى وأعظم للادب العربى المهجرى • وأحدهما (وهو عيسى خليل صباغ) تسانده بالمال والتشجيع الحكومة الامريكية ، حينما الآخر (وهو محمود حب الله) مفروض أن تسانده الحكوما تالعربية بل والاسلامية كافة • فأين هذه المساندة ؟ اننا لا نراها ولا نلمسها ، وهذا عيب خطير ، اذ كان الواجب أن يفتح (المركز الاسلامى) أبوابه لتدريس الادب العربى والثقافة الاسلامية فى سنة ١٩٥٣ بينما نحن الآن فى سنة ١٩٥٥ ولا اعتماد لدى (المركز) المذكور الذى هو محط آمال العديدين فى أمريكا وخارجها للتنويه المثمر بالحضارة الاسلامية وبمآثر العرب وبعبقرية اللغة العربية ، فيكون من كل هذا الغنم لكرامة العرب والاسلام • وفى سبيل مثل هذه الغاية تنفق أقطار شتى مبالغ طائلة تعتبرها صغيرة بازاء الغنم الادبى الذى تحرزه • فلعل كل مطلع على كلماتى هذه ينضم الى (رابطة الادب الحديث) لحث الدول العربية ــ وفى طليعتها مصر

المحبوبة ـ للتضافر على تحقيق هذه الغاية النبيلة سريعا ، بدل ان نبقى الى ماشاء الله عالة على المستشرقين أو تحت رحمة المحاضرين المغرضين أعداء العرب والاسلام ، فنجلب بتهاونا النكاية لانفسنا •

اقتصرنا فيما تقدم على ملامح من الادب المهجرى فى أمريكا الشمالية ، وأما فى أمريكا الجنوبية حيث (العصبة الاندلسية) فى البرازيل وحيث كانت تصدر مجلة (العصبة) فأفاضل الادباء كثيرون أيضا ، ولكنهم كأخوانهم فى الشمال يحتاجون الى التشجيع والتنظيم ، وقد أرخ لهم الرحالة الاديب المدقق توفيق ضعون فى كتابيه الصريحين (ذكرى الهجرة) و (من وحى السبعين) • ولو عرفت الامم العربية قيمة ثقافتها فى ربط المودات لخلقت (مركزا اسلاميا) آخر فى سان باولو (أو «صنبل» كما يلفظها شاعر العروبة الاكبر رشيد سليم خورى) • ولا أطيب عندى فى ختام هذا الحديث شبه المرتجل من الاستشهاد ببعض المقطوعات لشاعرنا الفحل حتى يرى اخواننا المشارقة كيف يحرص المغتربون على لغتهم الشريفة ، وكيف يودعونها فى يسر النفائس من تأملاتهم ، والناضج من تجاربهم ، والرائع من فنهم الحر ، وشتان بينه وبين ماكان سليم عنحورى يعده شعرا عصريا ويزعم أن ماهده الاول هو خليل الخولى البيروتى فى ديوانه (العصر الجديد) الصادر سنة ١٨٦٥ م (أى منذتسعين سنة) بشهادة العلامة البستانى فى مجلة (الجنان) (١) • قال شاعرنا القروى ، (وتكفينا أبياته هذه فخرا للشعر المهجرى وللعرب المغتربين الذين يأتمون به) (٢) فى مناسبة عيد الاضحى منذ سنين :ـ

ليس للاسلام أو للعيسوية	ما بهذا العيد للدين مزيه
نحن والاسلام فى الاضحى سواء	قد تقاسمنا الضحايا بالسويه
(محمصانيتكم) ترثى أخاها	مثلما تبكى أخاها (الخازنيه)
عدلوا المعنى قليلا يلتئم	شملنا تحت لواء العربيه
ما أضاحى عرفات ومنى	بل ضحايا الشام بالمجد غنيه
ليس من ضحى بكبشى غنم	مثل من ضحى بنفس بشريه

(١) ديوان (آية العصر) لسليم عنحورى ، سنة ١٩٠٥ ، طبع دار المعارف بمصر •
(٢) ديوان (القروى) ، ص ٢٥٩ • وهو ديوان أوحدى فى معانيه وروحانيته الوطنية والانسانية . ومن النفائس الاخرى فى أمريكا الجنوبية دواوين الياس فرحات وشفيق معلوف وشكر الله الجر وجورج صيدح •

ان (بالعظمة) أعلى مثل — للفدى تنشده النفس الابيه
ودع (الفوطة) يبغى جنة — غيرها تحت ظلال المشرفيه
والتقى النار طروبا للردى — طرب اللاقى على العدم لقيه
نكس الجانى عليه سيفه — مكبرا فى مصرع الحر الرزية
يامعيدا مجدنا الضائع نم — مستريحا فى ظلال الأبديه
رحمة الله على كل فتى — عربى راح للعرب ضحيه
وليعد فينا وفى أعقابنا — عيد ايمان بدين الوطنيه !

وصفوة القول ان أبرز ملامح الادب المهجرى حريته وثقافته وانسانيته وقد أسهمت فيه طوائف شتى تمثل شعوبا شتى ، اذ أن الامة الامريكية فى صميمها أمة مهاجرين جاء أجدادهم الاول طلبا للحرية ، وللحرية الدينية خصيصا ، وما يزال مثلهم يستوحى • وما جانب هذه الصفات فى الادب أو المجتمع أو فى السياسة يتنكر له الشعب الامريكى ولا يعده معبرا عنه • واقدام المهاجرين الاول كان باعثه الكرامة والحزم والامل ، ولا تزال هذه الصفات من شعائر الامريكيين ، ومن شعائر أدبهم ، ومنه الادب العربى المهجرى الذى تشع منه روح التفاؤل وحب الحياة والاقدام والتنافس الشريف والابداع • ولولا هذه الصفات لما وجدنا أنفسنا فى العصر الذرى وما يحمله من عجائب لتقدم الحضارة الانسانية • والشعر المهجرى الاصيل هو ذلك الذى تتألق فيه هذه الصفات ، وأعظمها الحرية والابداع المنوط بهما رقى كل شيء فى العالم ، بينما المتزمتون فى المشرق مشغولون بالقلقلة الوهمية للقوافى وبالرضوخ لاحكام الخليل واعتبار سواها نجاسة فى نجاسة ، وبينما الراصفون المزماريون مشغولون بتقليد القدامى دون أن تكون لديهم أية بضاعة فكرية أو أى زاد روحى ، لانهم أنصاف أميين مثل أشياعهم الذين يلوذون من فشلهم بمحاولة النقد الادبى فيأتون بالسخائف التى لو أنها ترجمت الى لغة غربية لضحك منها الغربيون أو لرثوا لنا ! فى هذا الوسط البالغ الحرية (أى فى القارة الامريكية عامة) بلغ الادب العربى المهجرى مكانة يعتد بها ويقتدى • وفى مجاميع الصحف المهجرية التى تعنى بهذا الادب روائع جمة لو أنها جمعت ونشرت بانتظام لألفت ، مع مايذاع من (صوت أمريكا) ، ومع ما يردد فى حلقات (رابطة منيرفا) وغيرها من الندوات المتفرعة عنها أو المجارية لها ، مجلدات كثيرة يعتز بها ، حاوية فنونا شتى من الادب الحى • وكما تعد الآن المدرسة الامريكية الادبية (بشطريها الشمالى والجنوبى) فى الطليعة حقا ، تعتبر المدرسة

الامريكية الاسلامية فى الطليعة أيضا (+) ، وقد عملت فى بحوثها وتعاليمها على نقاء الاسلام وخدمة تعاليمه الاولى الصحيحة والبناء على مبادئه الرفيعة الحقة وخلق أدب اسلامى جديد • ولا ريب عندى ان الادب المهجرى فى جميـــع صوره ـ وأخصها الشعر ـ سيبقى منارا حرا وهاجا لاجيال وأجيال ، لان تقاليده العظيمة عميقة كالجذور المتمكنة للادواح الخالدة والغابات السامقة الغناء بفضـل اخلاص أدبائه وأديبـاته وفى مقدمة الاخيرات الاميرة نجلا معلوف •

وأخيرا لايجوز أن ننسى أن للادب العربى المهجرى صورته الفرنجية أيضا ، ونعنى بذلك ترجمته وكذلك النقل اليه • وهذا مايرجى أن يتضاعف حينما ينـــال (المركز الاسلامى) الثقافى بوشنطن نصيبه الواجب من التأييد المالى ، فان فى تدريس آدابنــا (أصيلة ومترجمة) دعاية شريفة لمواهبنا وحضارتنا قديما وحديثا • ولو فطنت الحكومات العربية والاسلامية لوجب عليها فتح اعتمادات سخية لانشاء كراسى للدراسات الادبية العربية والاسلامية فى الجامعات الكبرى بالعالم الجديد ، مثل جامعة نيويورك وجامعـة جورج وشنطن والجامعات الشهيرة بالعواصم المختلفة ، ومجمـوع ذلك ليس بالامر أن يفقد الانسان أصدقاء عشرات الاعوام فى عامين • أما الذى أنا واثق منه فهو أن قد العســير أو الباهظ • حدثنى الاستاذ الدكتور ابراهام كاتش Prof. Dr. Abraham J. Katch أستاذ العبرية بجامعـة نيويورك أن اللغة العربيـة كانت تدرس فى الجامعـة المذكورة أسـوة بالعبرية منذ قرن مضى ، وأما الآن فلا أثر للعربية فيها ، لان سراة العرب بأمـريكا لايتبرعون لانشـــاء كرسى لها فى هذه الجامعة ولا فى غيرها ، وعبثا كانت محاولتى اقناع هؤلاء السراة لحث (الجامعة العربية) أو حكوماتهم على القيام بهذا الواجب ، فضلا عن اسهامهم الشخصى فيه ، اذ مايزال حب الزهو والظهور فحسب هـو المحرك الاكبر لمن يتغنـون بالقضـايا السياسية ، دون أية محـاولة للخدمة العامـة الجدية كمـا تصـنع الجاليات الاخرى وفى طليعة هذه الخدمات الجدية اظهارنا بالمظهر الحقيقى من الثقافة والمدنيـة ، وهـذا مايصدف عنه من يجدون طريقـة أرخص للاعلان عن أنفسهم وهى الطريقة السياسية العرجاء • وبين أدبائنـا البارزين الذين يجيدون العربيـة والانجليزية معا ولهم آثار فى كلتيهما الاستاذ جورج دبس صاحب مجلة الكارافان The Caravan (أى « القافلة ») التى تصدر بالانجليزية عن بروكلن من ضواحى نيويورك وبين المنقطعين الى الانجليزية فى تأليفهم الدكتور فؤاد العقل ؛ وكلاهمـــا مصرى المولد

(+) فى مقدمة اعلامها المؤلفين المحسنين الدكتور ابو على خير الله .

لبنانى الارومة . وقد جمع الدكتور العقل بين النبوغ الجراحى والنبوغ الادبى وكان من حظى نقل ديوان شعره الانسانى نظما الى العربية ، ولا أجد أجمل من أبياته التالية نهاية لهذا الحديث لانهـا تحمل بحق رسالة التفاؤل والاستمتاع بالحياة الغالبة على الشعر المهجرى :

ما ازدهى مزهرا بنوم جمال ياحبيبى فكيف تبقى نؤوما ؟
قم الى البدر فهو يدعوك والروض ، ويوما ستفتدى محروما

الربيع القصير أقصر منه عمر للشباب وهو يفر
فتيقظ مع الهوى ياحبيبى ! راح (جمشيد) مثلما راح (خسرو) !

الشعر المسرحى

حينما قال الشاعر :

لا عرفت الحياة ان كان فنى مابدا لى ولست أخلق فنى
أنا بعض من الوجود ، ولكن كل مافى الوجود من بعض كونى

انما كان يعبر عن احساس يستبد بكل فنان أصيل ، هو الحنين الى الخلق والايمان بالابداع والتجاوب الشامل مع الوجود • ليس هذا الاحساس لونا من الغرور ـ كما قد يراه الناظر السطحى ـ وانما هو تصوف عميق واندماج متاه فى الطبيعة ، وان تلون بالاحساس الذاتى والشعور بالطاقة الفنية •

وكلما قرأنا أثرا من الآثار التى توصف بأنها « فنية » مر بخاطرنا المغنى الشعرى السالف الذكر وساءلنا أنفسنا : هل من ابداع بهذا الاثر ؟ ماقيمته كفن مجرد ؟ هل له أية رسالة قد يعتز ويرقى بها الفن وتسعد الانسانية ؟ واذا لم يكن هذا ولا ذاك تساءلنا : أثمة خسارة اذن لو اننا فقدنا هذا الاثر فقدا تاما ، أو على الاصح لو انه لم يوجد ، اذ أن بعض مايوجد لايحس به ؟

كم من كتاب أو رسالة أو قصيدة تعد فى حكم الميتة يوم ولادتها لتجردها من عناصر البقاء وأولها الجدة الفنية ، وغيرها يعيش على هامش الآثار الفنية لانه بمثابة شروح لها أو تكرار أو تبسيط ، وانما يخلد ما اتسم بالابداع الفنى ، وما احتفظ بقيم أزلية من الحق والجمال •

وهكذا كان موقفنا أخيرا حينما تلقينا المسرحية الشعرية (هيروديا) من تأليف الشاعر يوسف الخال محرر جريدة (الهدى) اليومية فى نيويورك •

تقع هذه المسرحية فى سبعة وثلاثمائة من الابيات متعددة القوافى ولكنها من بحر واحد هو الخفيف ، وتنتظمها ثلاثة فصول ، روعيت فيها وحدة الزمان والمكان • أما مصدرها فقصة (الانجيل) الشريف عن قتل (هيرودوس) ملك الجليل (ليوحنا المعمدان) تلبية لطلب (سالومة) ابنة (هيروديا) زوجته الثانية ، وكان تزوج من ابنة (الحارس) ملك دمشق ثم أعادها اليه بعد ان وقع فى غرام (هيروديا) امرأة أخيه (فيليبس) ، « فتحدى بذلك شرف السوريين وشريعة موسى التى تحرم الزواج من ابنة الاخ » • وجاء (يوحنا المعمدان) يعلن سخطه على هذه الزيجة ، فيلقى به (هيرودوس) فى السجن ، وما يحول دون قتله اياه الا خوف (هيرودوس) من ثورة

الشعب . ولكن (هيروديا) لاتقنع بذلك ، ولا يرضيها الا قطع رأس (المعمدان) ، فتغرى ابنتها (سالومة) بفتنة (هيرودوس) واستهوائه فى ساعة ضعفه وعبثه ليعطيها رأس (المعمدان) على طبق تصحبها فى رقصها الخليع ، وتنجح حيلتها مع ابنتها ، كما تنجح حيلة ابنتها مع (هيرودوس) ، فيلبى بعد تردد طلبها فى غمرة شرابه ،ويعقب ذلك ثورة الشعب وقيام السوريين ضده واضطرار الرومان الى خلعه ونفيه تهدئة للجماهير .

قرأنا هذه التمثيلية مرتين قبل التفكير فى الكتابة عنها ، وعنينا عناية خاصة بالتأمل فى مستواها الشعرى الى جانب مستواها الدرامى ، وفى ذهننا الطريقة التى تناول بها الموضوع ذاته أدباء غربيون من قبل ، كذلك عنينا بمقدمة المؤلف لنتبين منها فلسفته الادبية وموجبات عمله ، فخرجنا من كل هذا بالنتائج الآتية :

١ ــ رواية (هيروديا) غنم للادب المسرحى وللشعر العربى المعاصر ، لانها تجربة اضافية تزيد من ثروته كما أنها عرض لايديالية أصبحت مقدسة لدى العرب جميعا .

٢ ــ بعد اطلاعنا على هذه المسرحية لا نرتضى فقدها ، وبعبارة أخرى أنها ذات قيمة أدبية أصيلة ، ففى زوالها خسارة لانها تسد فراغا .

٣ ــ اذا كان يوسف الخال من الشعراء المقلين فليس هذا بضائره ، واذا كان من الشعراء البطيئين فليس هذا بمنتقصه ، فالعبرة بقيمة العمل لا بعدد المصنفات ولا بالوقت الذى يستغرقه وضعها . وقد يشتهر الشاعر بل يخلد بقصيدة واحدة فى حين يلازم الخمول شاعر آخر مكثار ، ومن النادر ان يجمع الشاعر بين الكثرة والاجادة . وها هو ذا يوسف الخال قد نظم هذه المسرحية على فترات مابين سنة ١٩٤٧ فى بيروت وسنة ١٩٥١ فى طرابلس الغرب وسنة ١٩٥٣ فى نيويورك .

٤ ــ موضوع الرواية درامى عنيف ، وهو فى رأينا يستأهل تبسطا ، أى معالجة أفسح ، وعلى الاخص لان للمؤلف مثالية قومية بل انسانية تمخضت عنها هذه المسرحية . صحيح أن من حقه أن يقول انه مكتف بهذا القدر من المجال والتناول ، ولكن من حيث أنه يريد ان يعرف وقع تأليفه فى نفوس النقاد الغيورين النزيهين فهذا رأينا ، دون أن نعنى بذلك أن الرواية غير كافية للتمثيل . ولكنها فى رأينا ــ بصورتها الحاضرة ــ أصلح للاوبرا التى لاتتطلب التعمق فى تحليل الشخصيات والمواقف ، أو للاذاعة المحدودة الوقت عادة ، أو للقراءة فحسب .

٥ ــ تنم ديباجة الشعر ومناحيه على تشيع يوسف الخال لمدرسة سعيد عقل الوصفية

الحسية ، وهذا ملحوظ منذ بداية الرواية بخطاب (هيروديا) الموجه الى وصيفتها تامار:

ضمخيني (تامار) ! في جسدي عرس وفي أضلعي هزيج مراح
وهنا في جدائلي سمر الليل ، وهام الصباح خلف وشاحي
وافرشي فوق مضجعي خصل الورد وصبي الخمور في أقداحي !
ليلة هذه ، تفوق ليالي ارتماء على الشهي المتاح
من عناقي ، ومن ترنح أعطافي ومن دفء نشوتي والتياحي
فانهياري سكرى على قدم الشهوة في ذلة وخفض جناح !
ضمخيني (تامار) ! للطيب وقع ، دونه وقع نزوتي وجماحي ،
واتركيني للحب نهب فراشات تهاوت على خدود الاقاحي ،
وتوالا تعرت النفس فيه واستحمت كنشوة في الراح
فاذا مخدعي (لهيرود) ظل في مساء وكوكب في صباح ،
وزوال الوجود في رعشة حرى على وهج قبلة ملحاح !

الى آخر هذا النشيد الجميل المتناوب مابين (هيروديا) و (تامار) دع عنك وصف (هيرودوس) لما في خزائنه من نفائس ، ودع عنك النشيد الغنائي الفاتن في مطلع الفصل الثالث الذي تستهله (هيروديا) بقولها :

أومأ الفجر ياحبيب وهذا مضجعي طال شوقه لاحتضانك
فترفق به ، وراود على الدفء وخذني بغامر من حنانك !

٦ ـ على الرغم من الايجاز وفق الشاعر بخطوطه القليلة الى التصوير المؤثر كما نرى في المشهد الثالث للفصل الاخير ، اذ لم يتجاوز عدد أبياته سبعة وعشرين بيتا ، بينما هو خير مشاهد الرواية على الراجح •

٧ ـ تحتاج مقدمة الرواية الى تحقيق أدق ، فشعراء العربية الذين عنوا بالتمثيليات سواء أفي أوطان العروبة أم في المهاجر أصبحوا جمهرة ، وليسوا ثلاثة كما ذكر المؤلف الفاضل • ونحن الآن في عصر الراديو والتلفجن ، ومن ثمة كانت الكلمة المخطوطة المذاعة معادلة على الاقل للكلمة المطبوعة وفي مجال التحقيق العلمي لابد من تقدير المخطوطات أيضا ، فما بالك بآثار موطدة منذ نصف قرن بل أكثر كآثارالشيخ نجيب الحداد رائد الادب الدرامي ، وهو لبناني الاصل وخليق باعتزاز اللبنانيين به • وفي المهجر الامريكي وحده مسرحيات شعرية متعددة لايستهان بها • وفي مصر أرخ الدكتور مختار الوكيل في كتابه (رواد الشعر الحديث في مصر) لما فات أديبنا الالمعي

يوسف الخال ، وكذلك فعل الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في جملة من كتبه ،وفعل النقادة الشهير الاستاذ السحرتي •

٨ ــ ان الموطدين للتمثيليات الشعرية استعانوا بالسماحة في الاسلوب وبالتحرر النظمي فتوسلوا بالشعر الكلاسيكي وبالشعر المرسل وبالشعر المختلط وبالشعر الحر حسب المواقف والمناسبات ، في حين قيد شاعرنا يوسف الخال نفسه تقييدا شديدا بدل ارسالها على سجيتها ، وكذلك كان يفعل معظم القدامى فأساءوا إلى شعرهم والى أنفسهم بمجافاتهم التحرر ، ومع ذلك يقول الاستاذ يوسف الخال : « ••• قد تكون (هيروديا) آخر ما سأنتجه من أدب في هذا الاسلوب الشعرى العتيق ، فانه من العبث الاستمرار في استعمال أساليب شعرية لم تعد تصلح للتعبير الكامل الطليق عن خوالج النفس ، ولا أعني القوافي والاوزان فحسب ، بل اللغة نفسها أيضا • فأزمة الحياة العربية اجمالا هي أزمة لغة كما هي أزمة عقل • ومهما طال الوقوف في وجه الحياة فلابد عاجلا أو آجلا من الانصياع الى نواميسها ، والى أن يتم ذلك يظل الادب العربي الحديث أدبا مصطنعا محدودا لا يتجاوب مع نفس القارىء ولا يعكس حياته » • وعندنا أنه لا غبار على أى أسلوب يطابق مقتضى الحال ، وانما العيب عيب الافتعال والتصنع والنحت المغالى فيه •

ولا يسعنا في ختام هذه الكلمة الا أن نقول لشاعرنا الفاضل : « أحسنت » ، والا أن نطالبه بأخرى من آثاره الشهية • صحيح ان أعلاما من أدبائنا كالدكتور فيليب حتى والدكتور فؤاد العقل اشتهروا بآثار معدودة ، ولكن كلا منهما بمقام ألف ، وليس بوسعنا أن نكون قنوعين بالقليل من آثار القديرين مهما أجادوا ، فالى اللقاء يا أستاذ يوسف مع كتابك التالى ، واليك تحياتنا وتحيات لغتنا الشريفة •

فهـــم النفس البشـــريـــة

كان الشاعر أبو الشبل فى مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجرى ذكر البرامكة ومبالغة الناس فى وصفهم بالجود ، فنهض الشاعر وقال : هل يأذن لى الوزير فى انشاد بيتين ؟ فأذن له أن ينشدهما ، فقال :

رأيت (عبيد الله) أفضـــل سؤددا وأكرم من (فضل) و(يحيى بن خالد)
أولئك جادوا والزمان مســاعد وقد جاد ذا والدهر غـير مســاعد

فسر عبيد الله كثيرا ، وتهلل وجهه ، وأعطاه خمسة آلاف درهم !

والراجح ان الشاعر أبو الشبل كان مخلصا فى هذا التقدير ، ولكن المؤكد أنه كان حاذق الفهم للنفس الانسانية ولحب مثل عبيد الله بن يحيى للمدح والملق .

وأمامنا أثر جذاب لاديب شاعر رحالة نشـــهد لشخصيته الحرة الجذابة بتأثيرهـا العميق ، وهو ملحق كتابه المعروف (من وحى السبعين) الذى يعـــد من أمتع كتب الرحلات والتأريخ الشخصى والدراسة لاخلاق الناس ، ومع ذلك فهذا الاديب الناضج الجهير يكاد يحارب نفسه بنفسه لانه يأبى أن يسلك مسلك أبو الشـــبل وأمثاله من الشعراء الشحاذين ، ولا يعرف غير الصراحة ، وكأنه من أتباع الرسول الكريم الذى نادى منـذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا : « قل الحق والا فاسكت ! » وقد صرفت الصراحة والصدق عنه كثيرين شغلوا عن أدبه بوسائل أخرى للاعلان الشخصى كحفلات التكريم والمآدب وما اليها ، وما نراه الخاسر بذلك فقد اســتبقى لتقديره نخبـة من المثقفين الواعين . وبديهى أننا لا نلوم هذا الاديب الالمعى ، فانكار الفضل مرض شائع ، وعن ذلك قيل :ـ

ترى الفتى ينكر فضـــل الفتى مادام حيـــا ، فاذا ماذهب
لج به الحـــرص الى نكتـة يكتبهـــا عنـه بمـــاء الذهب !

ذلك هو توفيق ضعون الذى ضمن ملحق كتابه صفوة ملاحظاته فى رحلته الى كندا وبلاد العم سام . وهيهات لنا أن نلومه على تعلقه بشمائل الابى الحر ، فان خسارته فى هذا المجال كسب ، ومثله لايبز فى التصوير التاريخى الصادق لعصره ومعاصريه ، وقد ختم ذلك الملحق بكلمة مؤثرة قال فيها : « والآن أعود الى سان باولو شـــاعرا أننى فقدت فى غيبتى عددا من خيرة أصدقائى وأقدمهم عهدا لاننى لا أستحقهم ، كما فقدنى البعض الآخر لانه لايستحقنى . وعسى أن أكون مخطئا فى الحالين اذ ليس من الهنات

أن يفقد الانسان أصدقاء عشرات الاعوام فى عامين أما الذى أنا واثق منه فهو أن قد بقى لى أصدقاء ثلاثة أقاموا فى أثناء غيبتى الدليل على اخلاصهم وصدق ودهم ووفائهم. والغريب أن الحروف الثلاثة الاولى المقتطعة من أسمائهم تؤلف كلمة (فاء) ... ».

أما عن ملاحظاته السديدة المفيدة التى أملتها التجاريب فعديدة تسترعى النظر . مثال ذلك اشادته بهمة الجالية الارمنية فى بيروت التى أصبح عددها فى غضون ربع قرن فقط مصغر الجالية اللبنانية فى مدينة سان باولو الجبارة فى مضامير التجارة والصناعة والمهن على اختلافها حينما اللبنانيون يتطلعون غالبا الى أعمال أخرى مرموقة ولو هاجروا فى سبيلها فتضيع عليهم فرص حيوية كثيرة للربح والتقدم فى وطنهم نفسه .

وعلى ذكر الهجرة يقول المؤلف بعنوان « وداع أم مأتم » (ص ٣٣٩) : « بحكم اضطرارى لتوديع شاب يربطنى به نسب بعيد تهيأ لى قبل سفرى من بيروت بأيام معدودات أن أحضر وداع طائفة من القرويين لعدد من ذوى قرباهم القاصدين البرازيل والارجنتين ، فرأيت من أدلة الاسى والشجن والندب والرثاء وتجويد أبيات العتابا والفراقيات وسفح الدموع ما أوهمنى أننى أمام مأتم لامشهد وداعى ، اذ بالفعل يمكن القول ان الفرق الوحيد بينهما هو أن المشيع فى هذا حي يرزق ، وتأكد لى أن ما من مسؤول فى الحكومة حضر يوما مثل ذلك المشهد والا لانقلب من محبذ للهجرة الى شاجب ، وراح يبشر بالعزوف عنها الى حد منعها بقوة القانون » . حقيقة من يعش ير ، فقد كنا نحسب لبنان العريق فى الهجرة أبعد أقطار الشرق الاوسط عن هذه الظاهرة .

وفى الكتاب نفحات شعرية جميلة مابين منظوم ومنثور وهى تتسم بالطبع الليريكى الذى عرف عن الاستاذ ضعون منذ نشأته الادبية ، وهو مصيب فى وصف شعر نابغتنا الدكتور نقولا فياض صاحب ديوان (رفيف الاقحوان) « بالمهفهف المنمنم » وهذا أصدق وصف لشعر توفيق ضعون . استمع الى هذه الابيات التى وجهها الى السيدة هند سلامة من قصيدة :ـ

أيقظت فى السبعين حبا هاجعا ... وفتحت للاشواق بابا موصدا

وأراك راضية غديرا هادئا ... فاذا غضبت غدوت بحرا مزبدا

ولذا أخالك ندة لزماننا ... اليوم يعطينا ليحرمنا غدا

أما الذكاء ففيك منه منارة ... وأنا الضلول وأنت يا (هند) الهدى

ومن هى هند سلامة هذه ؟ هى ـ على حد تعبير الاستاذ ضعون ـ « كاتبة أديبة ذات

جمال وذكاء وذوق رفيع ونكتة بارعة ولها مؤلفات قيمة جلها من الشعر المنثور الذى يزرى أحيانا بالمنظوم ، لذلك كان لها بين الادباء والشعراء خطاب ود ومعجبون عديدون» . وهكذا نرى كيف أنه لايوجه شعره الا لمن يستحقه .

ومن لطائف ما قرأناه فى هذا الملحق لكتابه النبذة المعنونة « لبنان يعيد الشباب » ، كما أن من طرائفه ماذكره عن مقابلته التى أزهرت ولم تثمر لرئيس الجمهورية اللبنانية السيد كميل شمعون ، وكان غرضه من المقابلة أن يعرض على الرئيس الخطة التى رسمها فى ذهنه ـ بعد طول الدرس والاختبار ـ لحمل اللبنانيين على الاشتراك فى مشروع جبار ينشأ فى وطنهم الاصلى ، آملا أن يقتنع بصوابيتها فيتبناها ويطرحها باسمه فتصبح أدعى الى التنفيذ » . ولكن الحظ لم يحالفه إذ عاكسته الظروف حتى اذا رأى الرئيس كما تسليمه عليه وداعا ، ومع ذلك فقد أتحفنا الاستاذ ضعون بنقدات ونظرات قيمة أجملها حديثه عن نزاهة الرئيس اللبنانى وحسن تصرفاته .

وقد قرأنا بارتياح ثناءه على رجال الصحافة العربية فى نيويورك وعلى الاخص الاستاذ عبد المسيح حداد الذى أحل مواهبه وسجاياه المنزلة الرفيعة ، كما سررنا بتنويهه الحق بالاديب الانسانى اللامع الاستاذ جميل البارودى ، وكنا نتمنى لو سمحت له الظروف باطالة اقامته فى الولايات المتحدة الامريكية ليرى زمرة أخرى غير من ذكرهم من الرجال العاملين ومن بيئات مختلفة وفى مدن شتى وعلى الاخص فى ديترويت وبوسطن ، نذكر من بينهم الاساتذة الدكتور فيليب حتى صاحب المآثر الخالدة على الثقافة العربية وتاريخ العرب فى جامعة برستن ، والدكتور فؤاد العقل الجراح الشهير والاديب الانسانى المحلق ، والدكتور أبا على خير الله الاديب الاسلامى الرائد المجهز .

وقد صدق المؤلف فى قوله انه لو شاء أن يتناول بالتفصيل والوصف الدقيق كل ماشاهده فى كندا والولايات المتحدة من الغرائب والمدهشات لما اتسع له مثل كتابه بأكمله . ومع ذلك فقد جاءنا كعادته بالملاحظات العديدة القيمة وبالنقدات المفيدة كنقده لروح الطائفية المتفشية بين المهاجرين تفشى الانانية خلافا للمشهود بين المهاجرين فى أمريكا الجنوبية ، وقد ساءه أن يرى الكثيرين من الامريكيين يكبون اليوم على تعلم اللغة العربية التى أخذ يزداد اهتمام الجامعات الامريكية بها بينما يهملها أبناء المهاجرين أو على الاقل لاحظ هذه الظاهرة بمزيج من الارتياح والحزن وعندنا أن سبب هذا الاضطراب وأمثاله راجع الى انعدام الزعامة الفكرية بين العرب فى الولايات المتحدة ، فان أولئك الذين اشتهروا بحرية التفكير ونضوجه أمثال الادباء الاعلام عبد المسيح حداد ونعمة

الحاج والدكتور سليمان داوود وقيصر وحيد وديب نعوم ليون وجميل البارودى لايملكون الوسائل المادية لبسط مبادئهم وضم الجوالى العربية حولها لنصرة الفكر الحر والادب الرفيع ، فيبقى الميدان فى غيابهم للطائفية وللخزعبلات الشخصية وللمظاهرات الجوفاء •

ومما لابد لنا من تسجيله مع الموافقة التامة قول المؤلف الفاضل مشيرا الى أحد الشعوب المشتتة وقد لم شعثه أخيرا بفضل رعاية أجياله المتعاقبة لفكرة قومية معينة (ص ٣٧٦) : « كان كل من هاتيك الاجيال يورثها بالتعاقب للذى يليه بالمحافظة على العقيدة واللغة برغم تشتت هاتيك الاجيال فى كل صقع من أصقاع المعمور واعتناقها جنسيات البلدان التى لجأت اليها وتناسلها فيها أحقابا متطاولة • فأين نحن منهم وقد تناسينا قوميتنا ولغتنا ولما ينقض بعد على هجرتنا جيلان ؟ »

وفى نبذة عنونها « كيف يستقون أخبارهم » ذكر الاستاذ ضعون « أن الصحف الامريكية ــ مهما يكن شأنها ــ يهمها السبق الى نشر الاخبار وحسب ، وقلما يهمها التدقيق والتمحيص ، اذ لاوقت عندها لهما » • وهذا اجمالا غير صحيح بل العكس هو الحقيقة ، ولكن المؤلف تأثر بحادثة معينة قد يتكرر مثلها فى أقطار شتى • ومن أمثلة ذلك أن تنشر احدى المجلات المصرية المحترمة أن الشاعرة « صفية أبو شادى » زارت مصر حديثا واحتفت بها المحافل الادبية فى حين أن ابنتى لم تبرح وشنطن العاصمة الامريكية ، وأما ما كتب عنى أو نسب الى من أحاديث مجانبة للحقيقة أو لاصلة لى بها فأكثر من أن يحصى وقد تعبت من محاولة تصحيحها ، وقلما كان يهتم بنشر تصحيحى ، بل ربما وبخت عليه ! فأين هذا من حال الصحف الامريكية التى تنفق الاموال الطائلة من أجل تعرف الحقائق الناصعة حتى عن خصومها وتتحاشى الخلط بين الوقائع والاخبار المجردة وبين آرائها الخاصة ؟

هذه نظرة عامة الى ملحق من (وحى السبعين) ، وموعدنا بالتعويض عن قصورنا عندما نتناول بالعرض كتابه المقبل (من وحى الثمانين) ان شاء الله له ولنا •

وليمة منيرفا

كانت ولا تزال آلهة الحكمة الرومانية (منيرفا) ـ Minerva كتوأمتها الاغريقية (أثينا) ـ Athena ـ مبعث الهام وتفكير برمزها العالمي للمعرفة والتفكير • ومن ثمة اتخذتها حركة البعث للادب العربي في أمريكا منذ سنوات شعارا لرابطتها ، فظهرت آثار قيمة شتى لاشياعها في الصحف والمجلات الراقية في العالم الجديد وخارجه ، وكان الاهم من النشر الكتابي الاذاعة الاثيرية التي لم تكن معروفة بصورتها الحاضرة في عهد (الرابطة القلمية) في العقد الثاني من هذا القرن • وهكذا استطاعت (رابطة منيرفا) مستقلة ومتعاونة بأقلام أعضائها في (صوت أمريكا) أن تؤدي للثقافة العربية خدمات فذة منوعة غير مسبوق اليها لا كما ولا كيفا ، وقد أصبح (صوت أمريكا) بمثابة أكاديمية حية لهذه الثقافة تتسابق صحف ومجلات شتى لنشر أحاديثه • وسواء أقل في أمريكا أم زاد عدد المتكلمين بالعربية فان الخدمة الرائدة التي يقوم بها أعضاء هاتين الهيئتين ـ متفرقين ومجتمعين ـ وطيدة حية • انهم يقدمون دائما وليمة فكرية روحية شهية تشمل الآداب والفنون والفلسفة والشعر واللغة والقصة والمسرح بل وضروبا أخرى متعددة من الثقافات • وهذا الخصب الوافر ميسور جميعه للصحافة العربية الامريكية ، وكاف لان تزدان بها حقولها دون انقطاع ، بحيث اذا صحت لها الشكوى فمن الغنى لا من الفقر ، هذا اذا لم تغمر حقولها بسفاسف الطائفية ، وحينئذ يكون الوزر وزرها •

واسهاما متواضعا منا يطيب لنا أن نتقدم بين وقت وآخر بطرائف منوعة من « وليمة منيرفا » لعلها تستثير عناية أبناء العربية (حيثما سمعت أو قرئت) للحفاوة بها وبتراثها ، ولن يحصر أي اعتبار غير الوقت أفق تفكيرنا وتأملاتنا وموضوعاتنا ، وليس الوليمة لهذه من ثمن غير تبادل المحبة والثقة والتجاوب • وأملنا ان تصبح هذه السلسلة مرجعا محترما للناظرين في الادب المهجري المعاصر على الاخص •

واهب اولاده

خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم يرعاه غلام أسود . فجيء للغلام بثلاثة أقراص من الخبز لطعامه . فدخل عليه كلب حتى دنا منه ، فرمى اليه بقرص فأكله . ثم رمى اليه بالثاني والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه ، فقال : « ياغلام ! كم قوتك كل يوم ؟ » قال : « ما رأيت ! » قال : « فلم آثرت الكلب ؟ » قال : « لان أرضنا ليست بأرض كلاب ، واخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعا ، فكرهت رده » . قال عبد الله : « فما أنت صانع اليوم ؟ » قال : أطوى يومى هذا على جوع ! » قال عبد الله بن جعفر : « والله ان هذا لاسخى منى ! » ثم اشترى عبد الله النخل والعبد وأعتقه ، ووهب له النخل !

وعندنا ان الاسخى من الاثنين هو ذلك الشيخ الذى وهب أولاده لخير الانسانية وحرم نفسه متعة عونهم وأنسهم فى أمس حاجته الى ذينك العون والانس ، ونعنى به الاديب المهجرى النحرير الاستاذ ديب نعوم ليون الذى تتلألأ آثاره — على الرغم من علو سنه — بألمعية وضاءة رائعة تتجلى على صفحات (الهدى) و (السائح) . وقد أذاع (صوت أمريكا) من قبل نبأ تبرعه بمكتبته القيمة الى بلدة زحلة فى لبنان وما كتبه الا أولاده ، وقد تخلى عن أولاده فخير العامة حينما هو غير مستغن عنهم لاصحبة ولاسنداه

ونحن كلما تأملنا فى هذا الصنيع الجليل أخذ منا الاعجاب به كل مأخذ ، لان الرجل قام به دون ضوضاء ودون من على أحد ، وهو أكرم من ان يمن على أحد ، وعلى الاخص اذ هو يشعر بقيامه بواجب انسانى هو تحرير الفكر من قيود الجهل دون أى مغنم مادى لنفسه بل ولا غير مادى ، راضيا بالتقشف كحظ كثيرين من المفكرين المتصوفين ، ومرددا معنا :

حسبى التجارب فى دنياى أفهمها	وإن تدق ولم تكشف لافهام
حسبى شعورى بأن الكون أجمعه	يوما سيتلى ويجرى فوق أقلامى
حسبى على الرغم من هم ومن نصب	أنى الطليق ، ولم أرضخ لارغام

مدرسة البارودى

يسعدنا أن تصل الى يدنا مجلات ثقافية بلغتنا الشريفة من أقطار شتى بين عربية واسلامية وسواها ، لانها تحمل الدليل العملى على حيوية لغة الضاد ومبلغ انتشارها أو نفوذها الادبى ، ومن بين هذه المجلات التى تلقيناها أخيرا مجلة (هنا طرابلس الغرب) ، وهى مجلة نصف شهرية مشرقة يصدرها (مكتب اذاعة طرابلس الغرب) ويرأس تحريرها الاستاذ على مصطفى المصراتى ، ويسهم فى تحريرها صفوة من الاديبات والادباء الليبيين وبعض أعضاء البعثة المصرية التعليمية • وقد استرعى انتباهنا بعددها الصادر فى نوفمبر سنة ١٩٥٤ مقال بعنوان « مدرسة حافظ ابراهيم » للاستاذ محمد المهدى أبو حامد ، فأحببنا أن نقول ان مانعتت بمدرسة حافظ ابراهيم هى ماتعرف من قديم « بمدرسة البارودى » ، فحافظ ابراهيم هو تلميذ البارودى شاعر الثورة العرابية الاول أو على الاقل شاعر الوطنيين المثقفين فى عصره حينما كان عبد الله نديم شاعر الشعب ، فجاء حافظ ابراهيم يقتفى خطوه ويستوحى روحه ، وكلاهما كان جنديا ونصيرا للحرية ومولعا بالفصحى • جاء حافظ ابراهيم مكملا لرسالة البارودى أستاذه الرائد ، وزاوج فى التبسط بين أسلوب البارودى وديباجة النديم ، فجاء أغلب شعره أسلس ، وأقرب الى التذوق العام • ولكن الاهم من الديباجة والتناول الروح الوطنية الصادقة النبيلة التى نبض بها شعره وقد أوحت الى جيله والى شعراء الوطنية بعده • فاذا ذكر الشابى من بينهم ، فما فى ذلك افتئات من وجهة عامة ، ولكن الشابى كان أقرب فى ذوقه الفنى الى الرومانسيين والواقعيين معا من « مدرسة أيوللو » ، ومن أحب أن يعرف نفسية الشابى الحقة وكفاحه الوطنى فليرجع الى كتاب (كفاح الشابى أو الشعب والوطنية فى شعره) للاديب التونسى اللامع الاستاذ أبى القاسم محمد كرو ، فهو ابن وطنه ومحبه وخير من أرخ له عن فهم ومقدرة ، وستكون لنا وقفة بل وقفات مع الشابى الحبيب ومع الصديق الوفى المترجم له • وبحسبنا هنا أن نقول أن مدرسة البارودى الرائدة هى مدرسة وطنية وبعث أدبى ، وقد تأثر بها جميع الشعراء الوطنيين المجلين فى أواخر القرن الماضى خاصة •

الأدب العربي في المهجـــر

أتحفنا الاستاذ الاديب عبد الحميد الانشاصى من نابلس بكتابه (عطف أم وقصص أخرى) الذى أصدرته « دار سعد مصر » بالقاهرة ، وسألنا أن نسعى فى ترجمتـه • وردا عليه نذكر أنه لا أحب لدينا من ترجمة أدبنـا العربى قديمه وحديثه بشرط أن يكون أدبا انسانيا رفيعا ، فان ثقافتنا هى عرضنا ؛ وهـذه الثقافة تشمل ضروب الادب والفن والعلم والدين ، ولهذا نجد بين الادباء المسيحيين مثلا من يغار على الثقافة الاسلامية ومن يغار على سمعة نبى الاسلام ويعده قبل كل اعتبار بطلا عربيا ومصلحا فذا ، ويحسب كل هذا ذا صلة وثيقة بكرامته القومية • ومثل هذا الشعور نجده متجليا فى أمريكا بين جميع الجاليات الاجنبية الاروميات ، ومن بينهـا الجالية العربيـــة ، ولكن الجاليـة العربية ــ والقسم الاســـلامى منها خاصـــة ــ بحاجة ماســـة الى المعونة المـــالية العربية أو الاسلامية ولتعمل على تدريسها فى المعاهد والجامعات ، كمـا تصنع جميـع الجاليات الحية فى هذه الربوع ، بل فى المهاجر كافة • وازاء هذا العجز المادى الذى لامسوغ له ، ليس من الميسور القيام ببرنامج واسع جدير بالذكر لخدمة الثقافة العربية الاسلامية فضلا عن ترجمة الآثار العربية • وهذا هو العلامة الدكتور محمود حب الله مدير (المركز الاسلامى) بوشنطن لم يقصر فى رسم موازنة معقـولة لتحقيق هـذا الواجب المحتم على كل عربى وكل مسلم مستنير أن يسهم فيه بالمال أو بالسعى ، كما هو محتم على الحكومات العربية والاسلامية ، وحتى الآن لايزال مشروعه الجليل معطـلا بسبب التهاون ، وبسبب اهتمام تلك الحكومات والافراد الى حد المبالغة المعيبة بالسياسة وحدها ، فى حين أن منافسيهم يعنون بالثقـافة عنايتهم بالسياســة ويبرزون شخصيتهم القومية كاملة ، لايمانهم بأنها وحدة لاتتجزأ ، فما يصغر ثقافتهـم يصغر وضعهم السياسى ويسىء الى قضاياهم • وهذا ما أدركته حتى روسيا الشيوعية التى تنفق الآلاف المؤلفـة من الدولارات بل قل الملايين العديدة للتنـويه فى الخارج بثقافتها وأعلامهـا فى الادب والفن والعلم ، محاولة اقناع العالم بأنها أمـة عريقة فى المعرفة والحضارة ، فما أحرى الشعوب العربية والاسلامية بأن تنهج هـذا النهج ، بدل أن تتوهم أن مايكيف الامـــم ويصونها هى الماديات وحدها •

وبعد ، فالادب العربى فى المهجر يغنيه بلا ريب النقل اليه والنقل عنه ، ولكن بدون هذه اليقظة التى ندعو اليها لايمكن أن يتحقق هذا الامل • ونعتقد أن ســفراء الدول

العربية والاسلامية فى العواصم المختلفة مسؤولون عن تحقيق هذه الخطة ، ومسؤوليتهم عنها فى وشنطن عاصمة أقوى أمة فى العالم وأبعد الامم حضارة مسؤوليةلايستهان بها ، والتهاون ازاءها بعيد الخطر • واننا لنعد مشروع العلامة الاستاذ الدكتور حب الله بعيد الخطر لانه يدافع عن عرضنا بأكرم صورة فى بلاد عظيمة النفوذ تؤمن بالعدل وتطبقه ويهمها الوقوف على حقائق الشعوب والارتشاف من ينابيع مدنياتها والدفاع عن حسناتها كأنها تنتسب اليها ، وكل هذا له أثره فى الجو السياسى الذى يشغل به وحده أقطاب العروبة والاسلام أو يكادون مع الاسف ، فيسيئون الى قضاياهم من حيث لايدرون !

والادب المهجرى فى أمريكا متأثر الى درجة محسوسة بالبيئة الامريكية الحرة ، ولا مفر من اهتمام (المركز الاسلامى) بتدريسه متى تحقق نظامه التعليمى ، وقد حان له أن يتحقق بعد طول الانتظار • انه مزيج من الواقعية والرومانسية والرمزية والسريالية وغيرها ، ولكن للواقعية نصيب وافر منه • واذا كانت الواقعية لاتزال منبوذة فى العالم العربى تحت تأثير الادب الفرنسى ، أو على الاصح تحت تأثير الرومانسية الفرنسية المتمكنة من الشرق الاوسط وعلى الاخص من لبنان ومصر ، فان لها محلا محترما فى الادب الامريكى — أدب الحياة الشاملة • ولهذا كان تدريس الادب العربى المهجرى بل وعرض الفن العربى المهجرى من خير المهام التى يمكن أن تناط (بالمركز الاسلامى) فى وشنطن الى جانب الثقافة الاسلامية ، وقد يدخل فى مهمته نقل كثير من الآثار العربية بين قديمة ومعاصرة الى الانجليزية ، ومن بينها مختارات من الادب المهجرى الذى يمثل شعوبا شتى مابين لبنانية وسورية ومصرية وعراقية وأردنية وتونسية ومراكشية وحجازية وسودانية وغيرها وغيرها • وهكذا تصبح مهمة المركز الاسلامى الثقافة مهمة ثلاثية ومهمة لاتعلو عليها مهمة ، وواجب تسابق الدول والشعوب العربية والاسلامية وأعيان العرب والمسلمين فى العالم الجديد بأسره الى تحقيقها حرصا على المنفعة العامة وحرصا على كرامتهم •

•

نشأ الادب المهجرى أول مانشأ متأثرا بحركتين : حركة التجديد الجبارة التى تزعمها خليل مطران وحركة البعث الادبى الامريكى المتجاوبة مع خير مافى أوروبا من أدب• أما الآن فهو أدب انسانى له شخصيته القوية الحرة ، وأنصاره مثقفون موهوبون متعددون وان لم تكن لهم مجلة خاصة ولا بريق من سبقوهم فى العقد الثانى من هذا القرن ، ومع هذا فمجموع آثارهم التى تطالعنا الصحف المهجرية بنماذج منها هى آثار قيمة لامعة ، وقد أشرنا الى ذلك من قبل ، ولا تستحق هذه النماذج أن تدرس فحسب

بل تستحق أن تترجم صفوتها أيضا ليعرف الامريكيون أية مثالية رفيعة تجول فى نفوس العرب الامريكيين كما تجول فى نفوس أهليهم فى مواطنهم الاصلية ، مما يؤدى الى احترام النفسية العربية . ولنذكر على سبيل المثال قصيدة « ياسلم ! » (*) التى ترجمت الى الانجليزية وانتفعت بها دوائر الامم المتحدة فى دعايتها النبيلة للسلام ، وقد جاء فيها:

ياسـلم ! خير أن نراك مزعزعا	من أن نرى للحرب سوقا بيننا
ياجاعل النيران جنات لنا	ومطهر الانسان حتى آمنا
لاتلقنا يأسا ، وصبرا ، ربما	علمتنا وصقلتنا فخلقتنا
ان كنت ترجونا الفداء فكن لنا	بعض الفدى ، فنرى السعادة والغنى
يا نفحة الارباب حين تجاوبوا	والفن ، فابتدعوا سناك ، فهيمنا
ان تبق حارسنا رفعت نفوسنا	والى الحضيض نزل اما فتنا
ولئن تمادى الاشقياء بغبننا	فكن الملاذ ولا تسوغ غبننا
ان نحن ضعنا ضعت أنت وان تصن	آمالنا صانتك كنزا يقتنى
ويجىء يوم للحياة مقدس	فتكون معبود الحياة المعلنا
لولاك كانت مثل أشباح الردى	بجهنم ، لا مثل أطياف المنى
فأجب دعاء للبرية ، شاملا	من قد أساء لنا ومن قد أحسنا !

وثمة قصائد أخرى وآثار أخرى ممتازة لشعراء وأدباء مختلفين حرية بأن تترجم ، كما هى حرية بأن تدرس فى الغرب والشرق على السواء ، كما صرح لنا غير مرة الاستاذ محمد كفافى أستاذ الادب المقارن بجامعة القاهرة ، ولكن أنى لنا ذلك قبل توفير المال (وهو ميسور فعلا) باسهام الدول والشعوب الاسلامية المختلفة والجاليات العربية والاسلامية فى أمريكا بهذه المهمة ، ثم كيف يتيسر ويتوافر المال ــ وان كان فى متناول الايدى ، وان كان المطلوب غير جسيم ــ قبل تبديل العقليات الجامدة والنفسيات التى تحلم بالظهور من أهون طريق وبأرخص وسيلة ، بدل البذل السخى البرىء لوجه الله والوطن ؟!

(*) عن ديوان «أيزيس» ١٩٥٤ م .

ملحم الحاوى

من ذكريات الصبا التى حزت فى نفسنا اننا كنا نلقن للحفظ الارجوزة التى استخلصها تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى من كتاب (الصادح والباغم) وقد كما جاء فيها : ــ

العيش بالرزق وبالتقدير	وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار	وفعله جميعه ادبار

كما جاء فيها :

وليس فى العالم ظلم جارى	اذ كان مايجرى بأمر البارى
فحارب الاكفاء والأقرانا	فالمرء لا يحارب السلطانا !

فان ما حوته تلك الارجوزة من الحكم السائرة قد أفسدته تلك التعاليم التى تدعو الى الاستسلام وقعود الهمة والرضوخ للجبروت ، وعلى الاخص الاخير ، فلولا الذل ماكان الاستعباد ولولا العبيد ماكان الاسياد كما يقال • وكنا نقارن بين ذلك الكلام المرذول وبين ماكان يهتف به عبد الله نديم الشاعر الشعبى ابان الثورة العرابية المصرية من الادب الحر والعظات الحكيمة بلغة العامة فكان يحزننا ان نجد أدب العامة أحصف من أدب الخاصة ، ومعنى ذلك سوء التربية النفسية وما لابد ان يترتب عليها آجلا من سوء الاستعداد للقيادة •

ولما هاجرنا الى أمريكا فى سنة ١٩٤٦ ونظرنا عن كثب فى النماذج الجديدة من الادب العربى الامريكى ومعظمها لشعراء مغمورين تظهر مقطوعات لهم بين الفينة والاخرى فى الصحف المهجرية أو تردد فى بعض المحافل وجدنا للاسف نظير ما آلمنا فى الشرق وهو تشبع أدب الخاصة أو من فى حكمهم بالقدرية ونحوها تشبعا سقيما اللهم الا فى أشعار قليلين استثارتهم وصقلتهم الروح الامريكية • وبين هؤلاء القليلين الشاعران الشعبيان أسعد رستم وملحم الحاوى ، فان فضلهما عظيم وهما يطيران على أجنحة الخيال فى حديثهما بلغة السمو والحرية والمدنية ، وهى لغة الادب الامريكى الحى •

ان ملحم الحاوى شاعر فى انسان أو انسان فى شاعر ، وكأنما هو القائل : ــ

وما كان شعرى فى نظيم أصوغه	ولكن شعرى أن أكون أنا الشعرا !

فهذا رجل عقيدة وأخلاق ودماثة ، وكل هذه العناصر متجلية فى شعره الزجلى

الشعبى الذى تنزه تماما عن الافتعال والصنعة ، وتحلى دائما بالأصالة كما تحلى بمثالية لا تتزعزع • وهذه المثالية تشمل التفانى فى المجتمع لا التميز عنه حتى أنه لما شاءت الجاليات العربية فى أمريكا لسنوات خلت أن تقوم بتكريمه آثر لو اتجه هذا التكريم الى الادب العربى المهجرى بدل شخصه ، وان يخص مايجمع من مال لهذا القصد باحدى الجامعات التى تعنى بهذا الادب ، فيكون من مثل هذه الحفاوة تكريم للعروبة ذاتها • ومع ذلك لم تتحقق حتى الآن لا تلك الرغبة الشريفة ولا نشر ديوانه الكامل الذى يعد تحفة ثمينة فى أبوابه •

وملحم الحاوى أحد أربعة تجمعهم نزعات مشتركة وقد عرفتهم محافل المهجر الادبية وان انقسموا شطرين بين الشرق والغرب ، فأقام الآن فى الشرق ميخائيل نعيمه واسكندر اليازجى وبقى معنا عبد المسيح حداد وملحم الحاوى • وفى تقديره يقول عبد المسيح حداد من حديث قيم : « امتاز بشعره الشعبى وكان ولا يزال له القدح المعلى فى وضع القصائد الزجلية المعبرة عن شاعرية حساسة •• وولوع بالحكاية المطرزة بالفكاهة أحيانا وبألوان البلاغة الفطرية ذات الذكاء أحيانا أخرى » • ويقول أيضا فى وصفه : « شاعر ملهم حاضر الخاطرة ، قوى المعارضة ، بارع اليراع ، ينظم بلغتنا العامية المهجرية أى اللغة التى تجمعت من عديد لهجات المغتربين العرب ، بل عديد الاصطلاحات البلدية المنوعة ذات اللون القروى أو المدنى الخاص فى كل قرية ومدينة فى الاقطار العربية • وذلك لان اجتماع العرب فى هذا المهجر من سوريين ولبنانيين ومصريين وفلسطينيين ويمنيين وعراقيين حملهم على اقتباس الواحد والانصراف عن النهج الاصلى فتألفت من ذلك لغة عامية امتازت بتجمعها من لهجات كثيرة واصطلاحات عديدة ، واستعارت كذلك الكثير من التعابير الامريكية التى خلت منها لغتنا العربية ، كما اختارت عديد الكلام الاجنبى لعدم وجود مثله فى اللغة العربية ، فهذا الشاعر ابن الشوير فى لبنان ينظم اليوم قصائده بلغة المهجر لا بلغة لبنان والشوير تماما ، وبلهجة مجتمعة من جميع اللهجات العربية المهجرية » • ثم يقول : « ما رأيت شاعرا يهتاج خواطر الجماعة قبل أن ينطلق لسانه بالالقاء على منبر كالشاعر ملحم الحاوى ، فكأن الناس خبروه ينثر على مسامعهم من ذكائه الفطرى ما يثير فى داخلهم الحركة على أوتار قلوبهم بألطف الالحان وأعذب المعانى وأطرب النكات ، فأصبحوا لا يرونه قادما الى منبر حتى تنفتح نفوسهم الى ماسيجلوه عنها من عبوسة التوسم ، فتتسارع ثنايا جباههم الى انبساطها لرغبة أربابها فى الفكاهة ذات المرح

والمغزى البديع فى آن واحد » • وعبد المسيح حداد شاعر ناقد نزيه وأديب أصيل مبدع ، فحكمه على ملحم الحاوى حكم يحترمه الادباء الخلص والنقاد المستقلون ، وقد أصاب فى وضعه شاعرنا فى طبقة نسيب عريضة ورشيد أيوب ، وهى الطبقة الاولى للشعراء المهجريين وان اختلفت منازعهم وديباجاتهم •

لانقول مع المغالين الوطنيين ان الزجل ولد فى لبنان قبل التاريخ ، اذ لا دليل على ذلك اطلاقا وان ردده أمثال اميل مبارك وأسعد سابا وعبد الجليل وهبى ، فالمعروف المدون المحقق ان الزجل فن اندلسى رفع لواءه ابن قزمان وانتقل الى افريقيا والشرق الادنى فترعرع فى مصر خاصة وكاد ينحصر فيه ثم فى المواويل شعرها الشعبى ، بينما ترعرعت العتابا خاصة فى لبنان • ولكن الزجل اللبنانى المعاصر جد بديع ، والزجل الامريكى العربى الذى رفع لواءه ملحم الحاوى اللبنانى الاصل ينافسه من ناحية وينفرد عنه بميزات خاصة فى التناول وفى الاتجاهات وفى آفاقه الفنية • وقد أتيح لنا تكرارا أن نستمع الى الاستاذ ملحم شاعرا وخطيبا بالعربية والانكليزية فكانت تهزنا سماحة شاعريته التى تعادل سماحة انسانيته وخصاله الجذابة التى شهدناها من قبل فى ندرة حداد كما نشهدها فى نعمة الحاج ، ويااما أقل هذه الخصال بيننا ، ويااما أكثر حاجتنا الى شعراء متفوقين يمثلونها ، ولذلك أطربنا صدق الاستاذ عبد المسيح فى قوله أيضا : « للشاعر الشعبى الاستاذ ملحم الحاوى وقفات مدويات على المنابر كم هز بها الشواعر وكم أثارت فى النفوس الثوائر ! » • أما عن فضله الرائد فيقول فيه : « وهو يعد من صف الماهدين فى بناء صرح المهجر الذى انضم اليه منذ زهاء نصف قرن ، فازدان بعبقريته وسد فراغه الادبى من ناحية هذا النظم الطلى على السمع »

والموضوعات الشعرية التى تناولها ملحم أكثر من ان تستقصى ونظمه يحمل دائما طابعه الخاص به ، فمثلا اذا اتحفنا الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى) بقصيدته الوعظية المداعبة الجميلة فى الفساتين القصيرة التى يقول فى مطلعها :ـ

لحد الركبتين تشمرينا بربك أى نهر تعبرينا ؟!

جاءنا ملحم بمداعبة شعرية لاتقل روعة فى الموضوع ذاته فقال :ـ

قبل المشيب وقبل ما دب الكبر لبسنا العوينات فى سن الصغر
لما الصبايا اتفننوا بقصر الثياب تحنن علينا ربنا بقصر النظر !

وبينما ينظم ايليا أبو ماضى نشيده الوقور المشهور للكنيسة الاورثوذكسية نجد ملحم يداعب رجال الدين مداعبة بريئة أو غير بريئة فيقول :ـ

دثروا جهنم !! اهتموا بها الدنى وشغلة رجال الدين شغلة هينه
لا هي تجارة ودين لاكثر من سـنه ولا هي صحافة متعبة ولا سوكره

***

ولا هي صحافة بيلزما الصبر الجميل بيوعدونا بالسما قبل الرحيـــل
وبيشحنونا بعـــد ما عمر طـويل عاحضن (ابراهيم) من دون مشوره

***

عاحضن ابراهيم ، يابئس المصـــير الناس مثل النحل فى باب القفير
حضن ابراهيم صار معجوق (١) كثير حضن (ساره) أو حضن (راحيل)ألذ
بقدر بجيب « ترانسفر » ياهل ترى ؟!

وحينما منعت أمريكا تعاطى الخمور فى سنة ١٩٢٠ م ٠ وكانت بداية المنع فى شهر يوليه أتحف ملحم الحاوى الادباء بقصيدة فكاهية رشيقة جمعت بين اللغتين العربيـــة والانجليزية ، وقد سجلت عـــلى أقراص الجرامافون وذاعت غربا وشرقا فسمعتهـا وتفكهت بها أقطار شتى ، كما أبلغنا الاستاذ فرحات زياده ، وفيها يقول متهيئا لعهـــد « الجفاف » فى طراز من النظم الفريد الذى لانعرف أحدا شاركه فيه غير أسعد رستم :

بكره بييجى July بنصبح dry
I am afraid I'll die
ان صح الخبر !
امتن بييجى (المسيح) ، يحول (الهدسن) (٢) الى خمر صحيح
واشربه أنا ولا يشاركنى أحد !

وشعره الذائع فى مداعبة العازبين وفى مدح الامة الامريكية أشهر من أن يعرف ٠

وبعد ـ فهذا شاعر جدير بأن يعرف به فى الادب الامريكى وبترجمـــة أمثلة من شعره على نحو ماصنعت المكتبة الامريكية الجديدة The New American Library عندما نشرت ترجمة بعض الشعر العربى الحديث فى سلسلة New World Writing (الكتابة العالمية الجديدة) فهو من الحسنات الباقية للشعر العربى الامريكى ٠

---

(١) معجوق : مشغول أو ملان
(٢) هو النهر المار بغربى جزيرة (مانهاتان) التى هى قلب مدينة نيويورك

هــــزيـمـة العـبـقريـة

THE DEFEAT OF GENIUS

قال شوقى : ــ

قف دون رأيك فى الحياة مجـــاهدا ... ان الحيـــاة عقيـــدة وجهـــاد

وأمامنا كتاب ينطبق على صاحبه هذا المبدأ ، للاديب المهجرى الاستاذ عبد الله برى ، هو (طه حسين والخلفاء فى كتاب الفتنة الكبرى « على وبنوه ») • وما يقال عن عبدالله برى يقال عن طه حسين ذاته ، فكلاهما قوى بايمانه ، قوى بالتعبير عنه ، ومن ينعت بهذا الوصف لايصح أن يقال عنه انه يريد ان يفرض آراءه عـــلى الناس ، فقد يكون الشخص الناقد آية فى التسامح والديمقراطية ، وغاية الامر أن شخصيته القوية وايمانه العميق وحيويته تتطلب منه الكفاح النزيه فى سبيل رأيه لا أكثر ولا أقل ، حينما يكون الوصولى مشغولا بمجاراة هذا أو ذاك ، ويتملق زيد أو عبيد ، أو بالصيد فى الماء العكر لمنفعته الخاصة تحت ستار المصلحة العامة ، ومتظاهرا مع ذلك أحيانا بالزعامة الادبيـة أو القومية أو الدينية ولو دعم الركود والفساد • وأول مايبهجنا من رؤية كتاب كهذا أنه نموذج للادب العربى فى المهجر ، وأنه نموذج حى نبيل ، لانه انصاف للعبقرية التى غبنتها بيئتها الاثيمة ، والتى لايزال عدد من المؤلفين يسهم فى غبنها تاريخيا ، ألا وهى عبقرية أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابـع الخلفاء (١) • والادب العربى فى المهجر يعد الآن فى ذروته لانه لم يقتصر عـــلى كونه أدب ترف ، ثم انه الى جانب استناده الى نخبة من أعلامه المخضرمين قد انضمت اليه عناصر جـديدة ، وتكيفت له معايير ومفاهيم جديدة أكثر اتصالا بالادب الامريكى الواقعى ان لم نقل بالادب العالمى الانسانى ، كما نشأت من أجله هيئات ودوائر وحلقات أدبية متنوعة فضلا عن اذاعـة (صوت أمريكا) التى يقدر محصولها الثقافى بعشرات من الكتب سنويا هى فى حكم الميسورة للمستمعين القارئين ، لانها مطبوعة وان تكن فى طبعة خاصة ، وبالفعل قد تناقلت الكثير منها صحف ومجلات شتى شرقا وغربا وتأثر بها كثيرون • وهى بذلك تعوض عن قلة الطبع العام لكتب الافراد ودواوين الشـــعراء المهجريين ، وهى قلة منشؤها عدم مبالاة الناشرين فى أمريكا بالادب الخالص ، وحصر اهتمامهم فى الصحافة الطائفية والدينية وانصراف ذوى اليسار الى حفلات التكريم والطرب ومظاهر الاعلان الشخصى الرخيص مما دعا حتى المستشرقين الغيورين عـــلى العرب ، وعلى رأسـهم

(١) وقف الاستاذ عبد الله برى موقفا مخالفا لطه حسين الذى يناصر معاوية على على

العلامة الدكتور نكل Prof. Dr. R.A. Nykl الى مؤاخذتهم أشد المؤاخذة (١)
أما المنشآت الامريكية ذات الصلة بالعالم العربى والتى تسمح لها ملليتها بالحفاوة بالادب العربى المهجرى تدريسا ونشرا ـ وفى مقدمتها (جمعية أصـــدقاء الشرق الاوسط الامريكية ـ American Friends of the Middle East, Inc.) فانها حتى الآن لم تخط ولا خطوة واحدة فى هذا السبيل الشريف الغاية لاشتغالها الغالب بالامور السياسية ، مع أن الثقافة الاسلامية والادب العربى مفتاح السياسة ، فليس ثمة أقوى منهما فى اجتذاب القلوب وارضاء كبرياء الشعوب العربية والاسلامية • فليس بالعمل الصغير اذن فى هذه الظروف أن يظهر كتاب عبد الله برى فى نقد طه حسين أو رواية (هيروديا) الشعرية ليوسف الخال • وكان لابد لنا من هذه المقدمة ليعرف المستمعون والقارئون أن الادب العربى المهجرى الحديث ليس فقيرا فى ذاته بأى حال ، ولـكنه مفتقر الى النشر فى كتب ومجلات خاصة اذ أصبحت لاتساند بعضه غير ثلاث صحف : هى (السائح) ، و (السمير) و (الهدى) • وأما عن الادباء أنفسهم فالمهجر غنى بهم •

أما بعد ، فيقول الاستاذ عبد الله برى : « للناقد ثلاث شخصيات يلقاهـا فى بحثه : شخصية التاريخ وشخصيته وشخصية من ينتقده ؟ ففى تحرى الواقع فى كتاب الدكتور طه حسين (على وبنوه) من الفتنة الكبرى أخذت رأى التاريخ وسيلة للمقارنة مع أن رأيى الخاص يختلف فيه وعما فيه ، وأخذت فكرة طه حسين فراعيتها ومشيت معها فى سوق الحوادث الاسلامية لئلا يلاحظ خروجى عما دخـــل فيه المؤلف ، وهان لى ـ بعدئذ ـ أن أوضح رأيى بصراحة وعـــدم تحفظ فى نقطة الانتهاء والعبور عـلى الاوضاع الطبيعية والاجتماعية للخلافة » • وقد كان المؤلف أمينا لهذا الذى أعلنه فى مدخل كتابه • ونعتقد أنه نجح فى اظهار عظمة على بن أبى طالب خلقيا وفكريا ، وأن هذه العظمة لم تكن تدانيها أية عظمة باستثناء الرسول ، وأن عمر بن الخطاب ـ عـلى الرغم من مآثره وعظمته ـ أخطأ فى حق الامام على لانه خشى ـ على مايبدو ـ تزمته الدينى ، مع أن عليا فى سلوكه ماكان يمثل الا الاسلام الحق ، وأنه كان قادرا على ضوء التجربة أن يبدع النظام الاسلامى العملى الاصلح لو أنه ترك يعمل فى هدوء ، ولكن أنى له ذلك وقد شاء سوء الحظ أن تأتى خلافته فى زمن انفجرت فيه دسائس المرتدين وان تمسحوا بالاسلام ؟ انه ضحية الفتنة العربية الجاهلية الصبغة ، لا العقيدة الاسلامية • وكما يقول المؤلف الفاضل « كان الظلم الاكبر لعلى بن أبى طالب الذى انتقلت اليـه

---

(١) جريدة (الاصلاح) النيويوركية بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٩٥٥ م

الخلافة وانتقلت معها مواريث الفتنة العربية كلها مكتوبة بدم عثمان ، واذا كان عثمان قتل مرة فقد قتل على أكثر من مرة » (ص ٢٥) أراد عمر ان تكون الخلافة سياسية فعمل على اسنادها الى أبى بكر ، ولو أنها قامت ـ كما أرادها النبى ـ على « الشخصية النبوية» ذات الكفاءات التشريعية المرتبطة بالسنة والقرآن لكان على أولى بها (ص ٣٢) • ألم يصفه النبى لاصحابه بأنه أقضاهم ؟ وعلى أراد أن يرجع الخلافة الى مفهومها الدينى وأراد ان يرجع الناس الى صواب عقلهم ودينهم ، ولكن الفتنة العربية التى كانت تزحف مع الحوادث لم تمكنه من ذلك على اعتبار أنها تحولت بالفعل والاثر الى المطالبة بدم عثمان من على ، ولم تمكنه أيضا من القيام بأى اصلاح داخلى أو خارجى ، أو القيام بوضع الحدود ونشر الاحكام التى جاء بها الاسلام لينشر معها العدل وتسود الطمأنينة والامن وتشيع الرفاهية والسلام ، بل جاء معاوية وأصحابه يطالبون عليا بالدم ليس كخليفة بل كأن عليا هو القاتل أو الدافع على القتل ! (ص ٣٦) • وما كان على مجرما ، وما كانت خلافته خلافة سفك دماء وشر ، وانما كان المجتمع العربى مجتمعا مجرما سفاكا • وكان أهله يتوارثون حب القتل وحب الخمر والفسق والاباحة ، صارفين نظرهم عن الاسلام لانه كان يضايقهم ويؤذيهم بتحريمه للفوضى والخمر والقتل (ص ٥٤) • ولم يكن معاوية داهية ومحنكا كما يقدمه المؤرخون الى الزمن والاجيال ، وانما كان منافقا مراوغا تحيط به طائفة من أهل الدهاء والمكر جاءوا اليه متسللين طلبا للمال والجاه الذى كان مفقودا بتطبيق الفضائل الدينية عليهم من على ، فكان هو يستقبلهم بالترحاب ويحتضنهم ويغدق عليهم العطاء والنعمة لا حبا بهم ولا تقديرا لوجاهتهم وتعظيما لشرفهم ، بل حبا فى استعمال عقولهم وضمائرهم للكيد من على والفت من عضد الاسلام (ص ٦٢) • ان الخلاف كان خلافا عربيا بلونه وعرقه والفتنة كانت فتنة عربية مدارها القضاء على الاسلام ، وغايتها الوقوف بوجه التحول ، ولا فرق فى ذلك أن يكون على فى الخلافة أو أن يكون معاوية فى الشام ، فالانفجار العربى كان قد حان وقته • ومن المؤسف أن يجتاح هذا الانفجار شخصية الاسلام وهيبة النبى والقرآن التى كان يمثلها على ، فينتصر معاوية بغرائزه وغرائز أصحابه المجرمة على الاسلام لا على الامام (ص ٦٨) •

لقد برز التاريخ الحق من الضباب بفضل الباحثين الغيورين المستقلين أمثال عبد الله برى ، فانتقم لتلك العبقرية التى هزمت غدرا ، فهزم الاسلام الحق بهزيمتها ، ولا فارق الآن بين المسلمين السنيين والشيعة فى تبجيل الامام على وتقدير مواهبه الفذة التى

راحت ضحية لتيارات الفساد والشر فى تخبطها ازاء تعاليم الاسلام الاصلاحية • ولكن هذا الانصاف التاريخى لايداوى العلة المستفحلة فى البلاد العربية من قديم ـ علة النقمة على النبوغ الساحق والعمل على هدمه ، وان تكن علة قديمة غير مقصورة على العرب ، وانما يغذيها الجهل وما يصحبه من مفاسد فيبقيها مترعرعة • وقد خسر العرب المسلمون بنكبة الامام على خسارة فادحة لا يعوضها الا انتقامهم من عوامل الجهل والرجعيـــة والاجرام التى سيطرت عليهم أجيالا وتصميمهم قولا وعملا على الوثوب بالعروبة الى الامام وثبة جريئة نزيهة شاملة ، فيكون من ذلك تكفير عن تلك الجريمة العظيمة التى حاقت بعلى وآله وسودت تاريخ الاسلام •

الثلج فى الربيع

SNOW IN SPRING

تراقص كما شئت فوق الزروع
تقبلك الاعين
وتلقاك فى ألق يفتن
فتحيا ابتساما
جواهر ماعودت أن تضاما ، فتأبى النظاما
ويرفض اشعاعها المونق
خواطر لله لا تلحق
تغذى القلوب
وتحيى الطيوب
كلهو الربيع
ينمق للارض عمرا جديد
وكم يستعيد
ويضمن حلم العفاه
فلا لوعة ترهق
ولا بائس يطرق
كأنا سبحنا بنور القمر
وفيه اللجين الحيى
طهور ، نبيل ، سخى
فيغمر أرواحنا
ويبدع أفراحنا
ويقتل أتراحنا
فيخلق دنيا لنا
ترف بكل الغنى
وأثمنه نورها !

عاصفة ١٥ اكتوبر ١٩٥٤

مرت عاصفة هوجاء بوشنطن العاصمة الامريكية يوم الجمعة الخامس عشر من أكتوبر سنة ١٩٥٤ ، فدفعت الشاعر الى نظم هذه الابيات الوصفية الوجدانية التىأوحتها أيضا أزمته النفسية من جراء خسارته الجمة وتضحياته بنقله الى وشنطن :ـ

***

ولولى ! ولولى ! وصيحى وطيرى ... واقرعى وامنعى بعصف مسيرى
واكسرى الباسقات أو فاخلعيها ... كل هذا يرى بقلبى الكسير
أنا مذ جئت هذه الجنة السمحة ... ما زلت فى عذاب السعير
أمطرى يارياح ، أو فاسكبى النار ... فانى ما عدت أخشى مصيرى
ليس شكوى الزمان طبعى ، ولكن ... هو سخرى من فعل دهر حقير
ماتثير الاوراق يحرمها الدوح ... وقصف الاغصان الا نظيرى
ما سقوط المصباح يتبعه المصباح ... الا كثورتى فى ضميرى
مازئير الهبوب (١) حولى سوىوجدى ... فأعول يا وجدى بين الزئير !
ما أبالى من بعد معترك الاحداث ... فى خاطرى جنون المغير
ليلة تنقضى ، وعاصفة النفس ... تناهت بظلمة للاسير !

***

وترامیت (٢) فوق سلم دارى ... لا أبالى بصرخة للنذير
ومثار الحصى تدفق حولى ... كرصاص يئز بين الصفير
ثم لما ولجت دارى أبى أهلى ... عزاء سوى أمر النكير !

أحمد زكى أبو شادى

---

(١) الهبوب (بفتح الهاء) من الرياح المثيرة للغبرة
(٢) وترامیت وتراخيت

اسفندانتى الحمراء

MY RED MAPLE

شجرة الاسفندانة أو الميبل من أجمل الاشجار الامريكية ومن أعظمها منافع ٠ وقبل انتهاء الخريف تتخذ أوراقها لونا أحمر رائعا للناظرين وفتنة للشاعرين ٠ ولعل هذه القصيدة هى أولى مانظم فى موضوعها بالعربية ٠

★★★

مد (الخريف) رواقا من مباهجه ... وبينها نثر أطياف وألوان

وهذه غادتى الحمراء راقصة ... كأنها وحدها خصت ببستانى

أو أن أوراقها لاحت تراودنى ... بحموة الشمس قبل المغرب القانى

كأنها ما درت ما اشتد من محنى ... أو ان درت لم تشاطر بعض أحزانى

وشقيقة الزهر فى أصباغ فرحته ... أحسنت ، حتى وان أحسست نسيانى

بثى من الفرحة الالوان زاهية ... لفتنة الطير والانسان فى آن

ولا تبالى عزوفى ، فهو عن مقة ... كأنما أناأخشى بث أشجانى

وكان أولى بمثلى فى تفجعه ... صبر على الضيق مهما الضيق آذانى

أنا الذى علم المكلوم بهجته ... فصارع الهم جياشا بألحانى

رقى اذن فى نضار رائع بهج ... وحمرة من يواقيت ومرجان

بل من معان تخيلنا نفائسها ... وما عرفنا لها كنها بوجدان

كأنها بعض أحلام مجنحة ... تمثلت فوق أوراق وأغصان

كأنها حلو الهام يداعبنا ... لكنه فوق احساس لانسان

الا التفاؤل يبدو من مخائلها ... وان سما فوق تكييفى وحسبانى

ولا تعيبى الذى ما حد من نظرى ... اليك مثل غريب جائع عان

فان فيك من الصوفى فلسفة ... وفى من عابد ما بز ايمانى

وقد قتلت سلوى عنك ساحرة ... فلا تلومى اذن قربى وتحنانى !

توأمى

كاد (الخريف) يموت مثل مماتى   بتساقط الأوراق والآهات

انى أخوه بمهجتى وبلوعتى   زفراته تشتق من زفراتى

ان أرثه فبنظمه وبنثره   أو أبكه فلقد بكيت حياتى

لم يدره من أولعوا ببهارج   (للصيف) يمرح كالمليك العاتى

ان عد نسل (الصيف) لم يعلق به   عيب الاباحى الحقير الذات

عرف التنسك منذ يوم ولادة   فكأنه صور لوحى صلاتى

واستقبل الاعصار غير مروع   وهو الصريع الشيخ بين جناة

تخذ الكفاح الى النهاية مبدأ   وأبى خنوع الموت عند ممات

ان كنت أشبهه فتلك حميتى   رغم السقام وصفرة الاموات

علل على علل أنوء برزئها   وأظل أسخر بالشتاء الآتى

ان كان فى دمع (الخريف) مدامعى   أو كان فى أناته أناتى

فوراءها أنف لكل دنية   ولئن هطلن وصحن مجنونات (١)

ولئن نأت عنه الحرارة ما نأى   دفء تحجب فى نهى الذرات

والموت من صور الحياة ، ولغزه   لغز الوجود وآية الآيات

ان تنأ ياخلى فلست براحل   ما دمت تحيا فى نهاى وذاتى

هشت لى الاغصان وهى جريحة   وتطلعت لخطاى فى الغابات

فكأنما أنا من يجدد روحها   من روحه بالعطف والبسمات

وكأنما أنا من يمد جذورها   بشعوره فتهز دون حماة

جرداء «كالفن المجرد» (٢) ، فهمها   قد دق فى كنهه وجل سمات

الا على ند يبادلها الهوى   فلغاتها موصولة بلغاتى

سكتت أهازيج الجنادب ، واكتفت   بخطاى فوق العشب مستمعات

والنحل تأوى للقفير هنيئة   حتى كأن الشهد فى نظراتى

لله ، كم خلق التجاوب صحبة   حتى مع الاشجار والحشرات !

---

(١) اى المدامع والانات .

(٢) الفن المجرد Abstract Art

ذكرى نسيب عريضة

IN MEMORY OF NASEEB 'ARIDA

(قيلت لمناسبة نقل رفاته الى ضريح جديد في بروكلن في ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، وقد كانت بين الشاعرين صلات ود قديمة ، واشترك صاحب هذه القصيدة في حفلة تأبين الفقيد النابغة سنة ١٩٤٦ بنزل سانت جورج في بروكلن) .

* * *

نقلوا رفاتك للضريح الافخم … يارابضا في اللحد لم يتكلم

ان العرين هو العرين ، وان يكن … في حفرة أو ان يكن في مأزم (١)

ان نام صاحبه فليس بنائم … واذا سلاه الناس لم يتظلم

لولا مدى سقمي وشدة نكبتي … لهرعت . نحوك في وفاء متيم

لم ينسك الناسون ، لكن قد نسوا … معنى الكرامة كالاسير المرغم

أين الهداة الشاعرون لينشدوا … أسمى الملاحم للرسول الاعظم ؟

الشاعر الفنان ، من أخلاقه … وفنونه وحي النبي الملهم

لبس الدثار الآدمي أمامنا … ونهاه من كون أغر ملثم

هز الرواسي شعره بزئيره … ولو أنه المهموس رق على الفم

وتجاوبت معه الشموس كأنه … ما فاتها يوما ليهدى من عمى

تليت قصائده رثاء نبوغه … والخلد لايرثى وان يستلهم

ان كنت قد أهرقت قبل مدامعي … فلكي أبر بمهجتي وبمرقمي

لاكي أؤبن من طيوف حياته … أبقى على الزمن الغشوم المبهم

المسعف الاحرار من آياته … نبضت ـ وما زالت ـ بقدسي الدم

والفيلسوف رأى الوجود بنظرة … نفاذة ، وبحكمة لم تهزم

والناظم المثل الرفيعة نفحة … من روحه وجواهرا من منجم

والمبدع الالحان لم يسمع بها … شاد ولا في حلمه المستلهم

والثائر الهدام ، من تحطيمه … غرس وانشاء لنا لم يهدم

والمنشيء الادب الرصين كأنه … سور بهرن لملة لم تعلم

ذاق التخاذل والشقاء لرأيه … ومضى ولم يجزع ولم يتندم

ألمثل هذا يحتفى بضريحه … والكون بعض ضريحه المتوسم ؟

هو فكرة فيها عزاء للورى … عزت كأحكام القضاء المبرم

حق لها التهليل ، حتى ان نكن … في ظلمة أو ان نكن في مأتم !

---

(١) المأزم : المضيق .

رثاء سليمان نجيب

(الاديب الممثل والسينمائي الشهير ، والمدير السابق للاوبرا المصرية)

***

أخي (سليمان) هـذه غـربتي بلغت … بي غربتين ، وزاد الموت اقصائي
قد كنت أشجى لنأيي عنك في أسفي … ياليتني دمت ذاك الآسف النائي
مالي سبيل الى لقيا فأنشدها … فعالم الغيب محفوف بظلماء
الا على ذكريات حية أبدا … من الطفولة لم يبرحن تلقائي
عشنا سويا أليفي نعمة وهوى … نحسو الشذى بين أزهار وأضواء
لم يبلغ الطير مانلناه من مرح … ومن طلاقة أحلام وأهواء
ولا ابتسام شواطي (النيل) مابلغت … عيوننا من صفاء دون أقذاء
ولا خرير السواقي في تعثرها … تعثري ضاحكا في الطين والماء
ولااختصام الورى والحرب (١) صاخبة … مثل اختصام لنا من غير شحناء
ولا الاماني للدنيا بأجمعها … ساوت أمانينا أو بعض احصائي
تلك السنون التي مرت على عجل … ذخيرة لم تقف لحظي واصغائي
أحسها وأناجيها وأعرفها … كأنما هي من ذاتي وأعضائي
ياخادم المسرح العالي بسيرته … هذي رواياتك العصماء للرائي
قد خلدت في المرائي ، فهي نابضة … بين الورى ، والمرائي مثل أحياء
من عاصروك استقلوا في مشاعرهم … عن عرضها ، فهي لن تنسى لنساء
ومن يجيئون حيث الضاد مكرمة … سيكرمونك اكرام الالباء
فن كفنك لن يفنى وان بعدت … به السنون كبعد للاحباء
لم ندر أيهما أولى بتكرمة … تأليفك الحر في نقد وايصاء
أم عبقرية تمثيل خصصت به … حتى تعدد في ألوان ايحاء
يا مصلحا كل ما أهدى لنا مثل … للمصلحين ودستور الاطباء
تخذت بعد أبيك (٢) الشهم سيرته … شعارك الحي في تنوير دهماء
وفي التسامي بمن هانوا ومن قبعوا … في اللهو حتى غدوا أدنى الاذلاء
انا افتقدناك في وقت أحق به … من كان مثلك يحمى كل علياء

---

(١) الحرب الروسية اليابانيةفي مطلع القرن .
(٢) الزعيم الوطني والاديبالشاعر مصطفى نجيب .

من كان دون شبيهه فى مناقبه   حلو الفكاهة حتى للالداء
ويمزح الجد طى المزح تحسبه   يلهو ، وفيه أفانين لاغراء
نم فى ضريحك نوم الانس فى سرد   من الضياء وفى ألوان أشذاء
واقبل دموعى رثائى فهو من مهج   شتى ، وان كن أزهارى وأندائى

احمد زكى أبو شادى

في حديقة البلور بوشنطن

IN THE CRYSTAL GARDEN, WASHINGTON, D.C.

وقفنا لدى « الشلال » وقفة عابد ... ففيه لنا نور وفيه ضرام

تغازله الشمس الحبيبة مثلما ... تغازله الاشجار حين تنام

وهذي نجوم أطلعت دون ليلها ... وألوانها فوق الغصون مدام

ومن حولها الادغال ، لكن تهذبت ... فلا ريبة للناظرين تشام

يغني خرير الماء عذبا كأنما ... شدت خلفه حور ورف سلام

وهذي الظلال الناعسات تثاءبت ... وأسكرها للحالمين غرام

نسيت مرور الوقت أو قول صاحبي ... فما هو وقت ينقضي وكلام ؟

هنا مظهر الجنات بل ذاك كنهها ... وعما عداها في الحياة يصام

تطلعت مفتونا وحولي أمة ... من النبت ، بل دنيا كذاك تقام

مشاهد شتى من أراض قصية ... يجمعها للعارفين نظام

ويشملها دفء (١) ، وأحسب أنها ... بألفتها تغني غنى وترام

تآخت وان تنسب الى كل موطن ... وباعدها هم وبان خصام

فكيف بنو الانسان ، وهو متوج ... كأن ضياء العقل فيه ظلام ؟ !

---

(١) اشارة الى التدفئة الصناعية للحديقة .

فلسفتي

MY PHILOSOPHY

عن ديوان (ايزيس)

شربت فلسفتي من نبع آلامي ... وقبلها عب منه قلبي الدامي

وما برحت أغني زاخرا أبدا ... كأن آلام قلبي لسن آلامي

كأن دمعي أناشيد قد احتبست ... حتى تراق على قدسي أنغام

أن (المسيح) قبيل الصلب من حرق ... كما أعاني تباريحي واعدامي

وان حسدت ، كأن البؤس لي شرف ... وكل أهل الغنى في البؤس خدامي

أنا الضعيف ، ولكني العتي على ... نفسي ، اذا النفس لم تعبأ بأحكامي

اياك اياك يانفسي مهادنة ... للظلم ، أو فأقبعي في سجن ظلامي

معنى الحياة ابتسام لايفارقها ... وان أحيطت بجدب غير بسام

وهل أكون سوى رمز تضن به ... على الفناء ، وان أفنيت أعوامي ؟

عابوا الحقيقة في شعري ، وما سكنت ... سوى الحقيقة أسمى شعري السامي

ما سف يوما ، وان يجهله من جهلوا ... ان الحياة تعالت فوق أحلام

وأن وجدي وتفكيري وفلسفتي ... ليست سوى مثل من فن رسام

ذاق الخلود بألوان مجنحة ... فوق النجوم وفي ألوان آكام

كل (الطبيعة) معبود لمهجته ... تشكلت حول أطياف والهام

تمتد خفاقة لاحد يحصرها ... كخفق قلبي على احساسي النامي

أنا ابنها ، لا ينال الدهر من أثري ... ولم ينل قبل من نور وأجرام

كم من صغير تردى ، في حقارته ... للناس ، وهو جليل شامخ سام

كالبزر أو قطرة للبحر شاردة ... هي الوجود تناهت فوق انسام

وعيتها في خيالي ، فهي فلسفتي ... وان تعز على بهم وأصنام

تطير في فرحة نشوى ، ويرفعها ... حب الحياة الى غايات اقدام

كأنها صائد ردت حماسته ... خوف الممات بأدغال وآجام

أغزو كما غزت (١) الدنيا،وان فشلت ... وان تمزقت من غدر لاخصامي

حسبي التجارب في دنياي أفهمها ... وان تدق ولم تكشف لافهام

حسبي شعوري بأن الكون أجمعه ... يوما سيتلي ويجري فوق أقلام

حسبي على الرغم من هم ومن نصب ... أني الطليق ، ولم أرضخ لارغام !

أحمد زكي أبو شادي

(١) اى القطرة او البذرة الطائرة .

استقبال وشنطن

١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤

الحب والحسن والامان ... أعز مايمنح الزمان

أحظى اليوم أن أراها ... تعود أم فاتها الاوان ؟

مشاهد قد خلبن لبى ... كأنما بينها رهان

قد أبدعتها بلا شبيه ... العبقريات لا المران

فكل شيء بها طريف ... وبعض آياتها الجنان

والناس آدابهم تسامت ... بها ، فزينوا بها وزانوا

وساد أصفى الهدوء حتى ... كأنما عندها يصان

أتيتها خائفا حزينا ... فهش لى الحب والامان

وسقسقت لى الغصون شعرا ... كأنما الدوح مهرجان

والجو في دفئه عطوف ... كأهلها ، دفؤه حنان

يطل من نصبها جلال ... وذكريات لها بيان

وكم بها متحف أثير ... يفوح من مجده الدهان

وكم بها نعمة ، ولكن ... هل يجذب النعمة افتتان ؟

أنى تلفت لم أجدنى ... الا رؤى فاتها الحسان

وكل مافى الحياة يلهو ... كأنما الكل (دون جوان)

ان يحرق الناس نثر روض ... في حين أوراقه جمان

فقبله النار بددتنى ... وما تبقى هو الدخان !

كلمة الاستاذ عيسى خليل صباغ فى حفل تأبين الفقيد المرحوم احمد زكى ابو شادى بالقاهرة فى ١٦ يونيو ١٩٥٥

أيها السادة :

لما بلغنى نعى أخى الحبيب كنت فى الجزيرة العربية ، على مسافة عشرة آلاف ميل من منتهاه فى هذه الدنيا

واليوم اذ يجتمع أصحاب القلم والفكر والفن فى القاهرة لتأبين فقيد هـذه جميعا أجدنى مرة أخرى محروما شخصيا فرصة الاسهام معهم فى هذا الدين الادبى والاجتماعى والانسانى الذى يدين به كل مصرى وعربى مخلص لذكرى ذلك العبقرى الراحل . فما السر فى سير الامور على هذا النحو ؟ هل علمت الاقدار أننى لو كنت فى واشنطن يوم انطلقت روح أبى شادى الى جوار خالقها ، لسبقت جسده الى حفرة الفناء ؟

لقد عرفت الفقيد ست سنوات متواصلات ، فكان لى أبا واستاذا وناصحا وزميلا . وكان لنا جميعا فى هذه الدار منارا هاديا ، ومستوحى حكيما . سأفتقدك يا أخا الروح صباح مساء . وها هى ذى العبرات تخنقنى كلما أدركت أننى عدت الى حيث كنا نجتمع كل يوم ، فلا أراك الآن بعينى ، ولكن يعلم الله أننى سامع صوتك الحبيب حتى هذه اللحظة ، تنفق عن سخاء من جزيل حلمك وعميق انسانيتك .

ان الفراغ الذى خلفته وراءك يا أبا شادى انما هو بالجسم فقط ، أما روحك الطاهرة فستظل معنا دائما فى المكتب ، فى الاستوديو ، فى المنتديات ، الادبية التى كان لنشاطك أكبر الاثر فى انعاشها وتغذيتها . ستظل روحك معنا فى أمريكا التى علمت وأنت حى منزلتك فيها ، ولكنك لم تعلم كم ستفتقدك . ستظل روحك يا أبا شادى مرفرفة أيضا على أرض الكنانة مسقط رأسك وملاذ أحلامك وخير أمانيك .

أتذكر ما قلته لى فى ذلك الصباح المبكر يوم أبلغتك أن فى مصر فجـــرا جديدا ؟ أتذكر مقلتيك وقد بللهما زكى العبرات لدى سـماعك ذلك النبأ ، ثم كيف رفعت رأسك ، وتنهدت ثم قلت : « الحمد لله ان فى السماء ربا لا ينام » ؟

أنا أذكر كل هذا يا أحمد • ويذكره اخوانك وأبناؤك هنا ، وأصدقاؤك الاوفياء فى كل مكان • فها أنت ذا فى السماء الآن ، فى رعاية من نفح بك هذه الدنيا ثم استردك الى جواره ، وقد أديت رسالتك على أتم وجه ، وخلفت لك ورثاء بررة اكتملت بهم حياتك ، وجميل بك أن تحمد ربك على انعـــامه عليك بهم •

لا والله يا أبا شادى لن أبكى عليك ، فأنت معى ، والبكاء انما يكون على أطلال دارسة ، لا تراث حى نابض ماثل أمامى ما حييت • ولئن تشبثت بالقلب حسرة ، فانما لاننى لست معك حيث أنت ، لست معك فى السماء وقد استوحيت كل ما عندك « من السماء » •

سأمضى فى ما تبقى لى من العمر ، منفذا لسنتك الادبية ، حريصا كل الحرص على ما شئته من خير لوطنك ومستوطنك ، فخورا بأننى عرفتك ، وتعرفت بك الى اخوانك الادباء الذين اجتمعوا اليوم فى القاهرة لتكريم ذكراك • هؤلاء هم ذخرك فى هذه الدنيا كما أن ابناءك هم رأس مالك • فنم قرير العين فى آمن جوار وأسلم دار • وانظر حواليك الى تلك الاجنحة المرفرفة تجـدها أحـلامنا وآمالنا وقد صحبتك الى العــلا تنشد لك عند الله طيب المستقر ، ولنا على هـذه الارض حسن المآل وجميل الهداية •

« يا سيدى ومراح الروح فى جسدى	هلا دنا الموت منى حـين منـك دنا
حتى يمـــر بنا فى قعر مظلمـــة	لحد ، ويلبسنا فى واحـــد كفنـا
يا أطيب الناس روحـــا ضمه بدن	استودع الله ذلك الروح والبــدنا
لو كنت أعطى به الدنيـا معاوضـــة	منه لما كانت الدنيا له ثمنـــا »

رحم الله الفقيد العزيز •

وجزا الله خيرا جميع الذين ذكروه بالخير ومهـدوا لحفل تكريم ذكراه ، وفى مقدمتهم أعضاء رابطة الادب الحديث فى القاهرة ، وسائر الادباء الافاضل الذين يمثلون مختلف الاوساط الادبية فى البلدان العربية •

أيها السادة ، رحم الله موتاكم ، ولا أراكم الله مصيبة تنسكم هذه •

والسلام عليكم •

رحم الله « الدكتور ابو شادى »

ه « حزنت لوفاة الشاعر الطبيب الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، مات بغتة وهو أشد ما يكون حيوية ونشاطا ... ولقد كانت حياته العلمية والادبية صراعا عنيفا بينه وبين خصومه العديدين ... وقد أسس جمعية أبولا لخدمة الشعر وأسند رياستهـــا لاحمد شوقى فلما مات شوقى أسند رياستها لخليل مطران . وكان أبو شادى فى الواقع دينامو الجمعية وطاقتها الكبرى ... ولقد ظل حتى آخر رمق من حياته يكتب ويؤلف ويذيع فى صوت أمريكا ... »

كامل الشناوى

ه « .. للدكتور زكى أبو شادى مكانة فى قلوب أصدقائه ، كما أن له تقديرا فى قلوب قارئيه . وهو أحد الاطباء الذين جمعوا بين الادب والعلم . وكان حين اقامته فى مصر يصدر مجلة أبولو التى أصبحت مدرسة جمعت حولها عددا كبيرا من الشعراء والقصصيين الشبان ، وكانت تهدف الى الاخذ بالقيم العصرية فى الادب ... »

سلامة موسى

ه « .. كان أبو شادى يشجع الادباء ويوجههم ويأخذ بيدهم . وتوالت البينات والدلائل تؤكد ما طبع عليه من حب للادب وعطف على الادباء ورغبة نبيلة فى الاخذ بيدهم ومحاولة اظهار مواهبهم المغمورة . وكثـــير هم الادباء والشعراء الذين عمـل أبو شادى على اظهارهم الى النور وتقديمهم الى الجمهور ... ولقد كان شاعرا وكاتبا وناقدا ، كما كان معلما فى الصف الاول .. »

دكتور مختار الوكيل